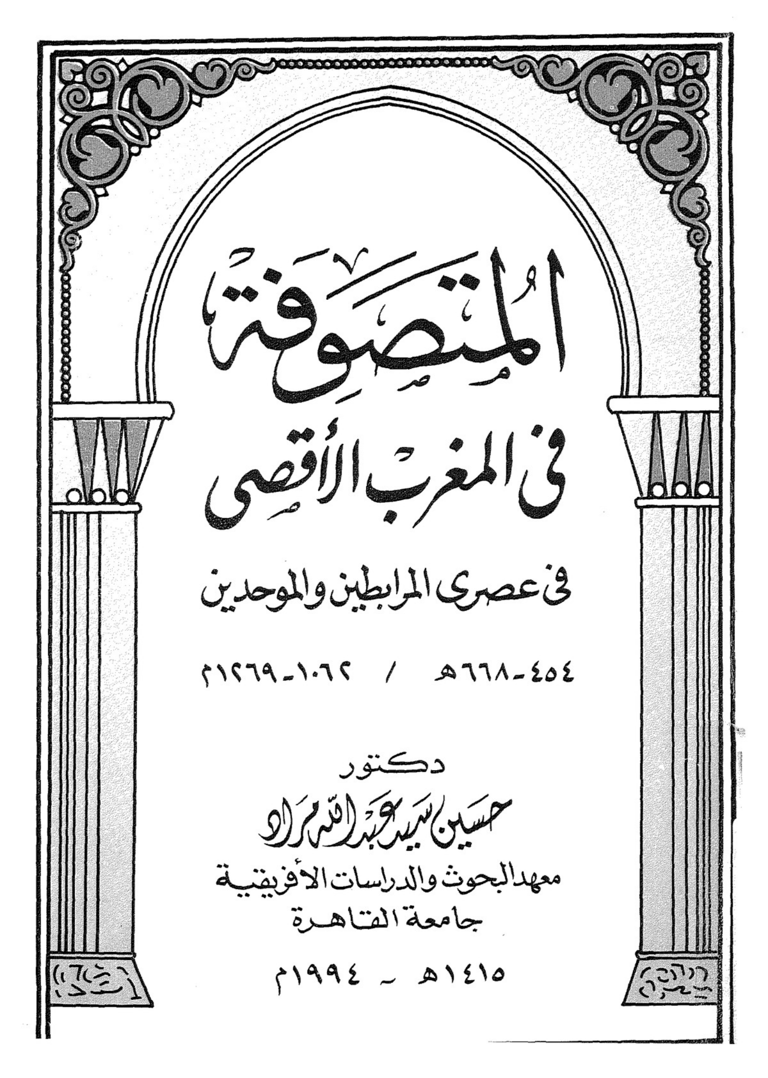


المتصوفة في المغرب الأقصى

في عصري المرابطين والموحدين

٤٥٤-٦٦٨هـ / ١٠٦٢-١٢٦٩م

دكتور

حسين سيد عبد الله مراد

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

المتصوفة فى المغرب الأقصى

فى عصرى المرابطين والموحدين

(٤٥٤ - ٦٦٨هـ / ١٠٦٢ - ١٢٦٩م)

دكتور

حسين سيد عبد الله مراد

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م

إهــداء

إلى زوجتى

وإلى ابنى إسلام

وإلى ابنتى منة الله



مقـــــدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا ا لله.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وعمل بشريعته إلى يوم الدين .

التصوف كما هو واضح من هذه الدراسة ، ليس انعزالا عن المجتمع أو هروبا من الحياة، إنما هو محاولة لتزكية النفس وتطهير القلب، ومشاركة إيجابية فى كل نواحى الحياة وفى كل أحداث العصر. فكان لابد من إلقاء الضوء على هذه الطبقة الإجتماعية التى سكن أفرادها فى كل جهات المغرب الأقصى، وانتسبوا إلى معظم القبائل البربرية والعربية هناك .

فهذا البحث دراسة تاريخية وحضارية لرجال التصوف الذين عاشوا فى المغرب الأقصى فى عصرى المرابطين والموحدين. دراسة تهدف فى محاولة متواضعة للتعرف على منهج أولئك القوم فى الحياة وسلوكهم السياسى والاجتماعى والاقتصادى والدينى والثقافى، ومدى موافقة هذا السلوك للشريعة . دراسة كان لا بد منها لأن هؤلاء المتصوفة لم يحظوا بدراسة شاملة من قبل فيما عدا بعض الدراسات التى اهتمت ببعض أعلام التصوف، مثل دراسة Alfred Bel عن أبى مدين وشيخه الدقاق فى فاس، والتى نشرت فى الكتاب التذكارى تكريما للمستشرق R . B asset .

وقد بدأت هذه الدراسة بتمهيد أوضحت فيه اشتقاق كلمة تصوف ومعناها ، ثم أفردت **الفصل الأول**"لعوامل انتشار التصوف فى المغرب الأقصى" وأوضحت الأثر المشرقى ثم العوامل الداخلية التى ساعدت على انتشار التصوف.

أما الفصل الثانى فبعنوان "المتصوفة والحياة السياسية ودورهم الجهادى فى الأندلس ضد الأسبان" وقد أوضحت فيه علاقتهم بالسلطة السياسية وعزوفهم عن

المشاركة فى تولى الوظائف الدينية، وأخيرا تعرضت لدورهم الجهادى فى الأندلس بالمشاركة فى غزوتى الأرك والعقاب .

والفصل الثالث بعنوان "المتصوفة والمجتمع" وقد تناولت فيه توزيع المتصوفة جغرافيا وقبليا فى المغرب الأقصى، والطبقات التى سلكت التصوف، والنساء والتصوف، والدور الاجتماعى للمتصوفة ، وأخيرا المتصوفة والقيم الاجتماعية.

وعرضت فى **الفصل الرابع** "النشاط الاقتصادى للمتصوفة" وتناولت فيه موقفهم من العمل،ومشاركتهم الإيجابية فىأوجه النشاط الاقتصادى داخل المجتمع.

أما **الفصل الخامس** فبعنوان " المتصوفة والحياة الدينية والثقافية" وقد أوضحت فيه دورهم الدينى داخل المجتمع وخاصة فى بناء المساجد والقيام بالوظائف الخاصة بها، وأوضحت أيضا تعدد جهودهم الدينية، ثم تناولت دورهم الثقافى والتعليمى داخل المجتمع .

وأخيرا أوضحت فى **الخاتمة** نتائج تلك الدراسة .

وبعد فإنه أجد لزاما على أن اعترف بالفضل لأساتذتى الكرام **الأستاذ الدكتور / رجب محمد عبد الحليم** أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية . **والأستاذ الدكتور/ حسن على حسن** أستاذ التاريخ الإسلامى ووكيل كلية دار العلوم على ما قدماه لى من نصح وإرشاد كان له أثره الواضح فى هذه الدراسة .

وبعد أن أنهيت هذه الدراسة لاأدعى أنى وفيت الموضوع حقه.لكن أدعو ا لله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا هذا العمل خالصا لوجه الكريم،إنه نعم المولى ونعم النصير .

القاهرة فى ٢٧/ ١٢/ ١٩٩٤م **د. حسين سيد عبد ا لله مراد**

تمهيـــد

اشتقاق كلمة تصوف ومعناها .

تعريف التصوف .



اشتقاق كلمة تصوف ومعناها :

هناك إجماع من الكتاب على أن كلمة التصوف من الكلمات الاصطلاحية، التى طرأت فى أواخر القرن الثانى الهجرى. وكان السبب فى ظهورها ووضوح مدلولها، أن طائفة من خواص المسلمين تجردوا لعبادة ا لله سبحانه وتعالى والزهد فى الدنيا التى تنافس الناس فى الحصول عليها وإيثارها على الآخرة وأعمالها الصالحة. فهذه الطائفة فزعت لما رأت من ذلك التحول عن الدين والانسلاخ عما كان عليه صحابة خير العالمين، من مراقبة ا لله سبحانه وتعالى وعدم الغفلة عن ذكره وإيثارهم لجوانب الخير(١) .

وكلمة تصوف كلمة محدثة لم تعرف إلا بعد عهد الصحابة والتابعين، وكانت طريقة هؤلاء القوم فى التصوف معروفة عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم . وتستهدف العكوف على العبادة والانقطاع إلى ا لله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف(٢) .

ومن الصعب تحديد أصل لفظ تصوف وصوفية والبحث عن هذا الأصل الذى نشأ عنه هذا المصطلح أو ذاك لتضارب فى الآراء وتناقض فى هذا الموضوع.

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، الطبعة السادسة، دار القلم بيروت ١٩٨٦ ، ص ٤٦٧.

الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوى، الطبعة الثالثة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٥ .

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ، ص ٤٦٧.

وباستعراض الآراء التى قيلت لتفسير أصل كلمة تصوف، لا بد من استبعاد الرأى القائل بأن أول شخص وقف بنفسه لخدمة الله عز وجل ، وكان يجاور الكعبة اسمه صوفة. وكان اسمه الحقيقى غوث بن مرة ، والزهاد الذين كانوا يشبهونه من حيث الانقطاع عما سوى الله سموا بالصوفية (٣). ولا عبرة لهذا الرأى الذى يقول بأن الكلمة كان لها وجود قبل الإسلام (٤). لأن التصوف ارتبط بالإسلام والحياة الإسلامية.

وهناك العديد من الآراء لتفسير أصل هذه الكلمة، هذه الآراء تجوز من ناحية المعنى، لكنها لا تجوز من ناحية الاشتقاق اللغوى. فالرأى القائل أنها من الصفاء فإنه يجوز من ناحية المعنى، لا نطوائه على معنى الصفاء الذى يتهيأ لقلب الصوفى، ولا يجوز من ناحية اللغة لأن النسبة إلى الصفاء "صفائى" (٥) .

أما الرأى القائل بأنها نسبة إلى أهل الصفة، وهى مكان كان ينزله بعض فقراء المسلمين فى مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فإن هذا الرأى وإن جاز من ناحية المعنى لما فى حياة أهل الصفة وحياة الصوفية من تشابه فى الإقبال على الله والانقطاع للعبادة، إلا أنه لا يجوز من ناحية اللغة لأن النسبة إلى الصفة "صفتى" لا صوفى(٦) .

---

(٣) السهر وردى : عوارف المعارف ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص٦٠ .

(٤) Nichelson ,R : Art Sufis, in Encyclopedia of Religion and E thics .

(٥) القشيرى : الرسالة القشيرية، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٩٥٧ ، ص١٢٦-

السهروردى : مصدر سابق ، ص٦٢.

(٦) القشيرى: مصدر سابق، ص١٢٦.

السهروردى : مصدر سابق، ص٦٠، ٦٢.

أما رأى من قال إنها من الصفة، وذلك لا تصاف الصوفية بالصفات الحميدة وابتعادهم عن الصفات الذميمة، فإنه وإن صح من ناحية المعنى لا يصح من ناحية الاشتقاق اللغوى، لأن النسبة إلى الصفة "صفتى" لا صوفى(٧).

وأما من قال أنها نسبت إلى الصوفانة أو الصوفان وهى بقلة تنبت فى الصحراء نحيفة ضعيفة قليلة الغذاء ، فهذا الرأى وإن جاز من ناحية المعنى للتشابه بين حال الصوفية والصوفانة فى الاقتصاد فى الغذاء ، فإنه لا يجوز من ناحية اللغةلأن النسبة إلى الصوفانة " صوفانى " لا صوفى(٨) .

وهناك رأى يجوز من ناحية المعنى واللغة ، يرى أصحابه أنها نسبة إلى الصوف ، أى أنهم سموا صوفية لأنهم اختاروا لبس الصوف ، إذ كان لباس الأنبياء عليهم السلام، وكان اختيارهم لبس الصوف لتركهم زينة الدنيا. وهذا الرأى صحيح من حيث الاشتقاق اللغوى ، لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف(٩) لكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف(١٠). ويجدر الإشارة إلى أن بعض متصوفة المغرب الأقصى، لم يلبس الصوف فقد كان أبو محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوغى المتوفى عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م يلبس الثياب البيضاء الحسنة ويعتنى بمظهره لأنه كان يقول : " إن الله لا يعبد بالسراويل بل يعبد بالقلب"(١١) .

---

(٧) جميل محمد أبو العلا: التصوف الإسلامى نشأته وأطواره، القاهرة ١٩٨٣، ص٦.

(٨) ما سينيون: الإسلام والتصوف، مطبعة دار الشعب، القاهرة ١٩٧٩، ص١٤.

(٩) السهروردى : مصدر سابق ، ص٦٠ .

(١٠) القشيرى: مصدر سابق ، ص ١٢٦ .

(١١) التادلى : التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبتى، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط ١٩٨٤ ، ص ٢٢٢ .

وأخيرا يقول القشيرى أن كلمة تصوف لفظ جامد غير مشتق، فليس له قياس أو اشتقاق فى اللغة العربية. فهى كاللقب فيقال للرجل صوفى وللجماعة صوفية(١٢) . هذا الرأى وإن كان يؤخذ عليه أن اللقب لا يطلق من فراغ أو جزافا وإنما يطلق لصفة بارزة فى القوم أو لعادة اشتهروا بها ، إلا أنه لا ينقص من قيمته ووجاهته. وما الذى يمنع أن يكون القوم قد اشتهروا بصفة أو أكثر من الصفات المتقدمة أو اشتهروا بلبس الصوف فاطلق اللقب عليهم لشهرتهم بلبسه، وشاع وذاع اللقب لتوافقه مع تلك الصفة (١٣).

تعريف التصوف :

امتاز التصوف الإسلامى عن غيره من العلوم والفنون بكثرة تعاريفه واختلافها وتنوعها . ومرجع ذلك إلى أمرين، الأول : إختلاف أذواق ومشارب الصوفية وخاصة عند من تناولوا التصوف بالشرح والتعريف . والثانى : اختلاف المراحل التى مر بها التصوف والصوفية على حد سواء واختلاف بيئاتهم(١٤) .

ويذكر الطوسى عدة تعريفات لكبار المتصوفة فيقول "إن التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة"(١٥) . "وهو أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام"(١٦). وهو أيضا " الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من

---

(١٢) الرسالة القشيرية ، ص ١٢٦.

(١٣) جميل محمد أبو العلا : مرجع سابق ، ص ٨ .

(١٤) المرجع السابق ، ص١٥.

(١٥) اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور، القاهرة ١٩٦٠ ، ص٤٥.

(١٦) المصدر السابق والصفحة .

كل خلق دنيء"(١٧). فالتصوف إذن فـي أساسه خلق وهو بهذا الاعتبار روح الإسلام ، لأن أحكام الإسلام كلها مردوده إلى أساس أخلاقى(١٨) .

كما يذكر الكلاباذى عددا من التعريفات فينقل عن التسترى أنه "صفاء من الكدر وامتلاء من الفكر، وانقطاع إلى الله من البشر"(١٩).

وأخيرا التعريف الجامع للتصوف، من بين تعاريف الصوفية التى لا تحصى قول الجنيد عنه : " تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة،والوفاء لله علىالحقيقة،واتباع الرسول صلىالله عليه وسلم فى الشريعة(٢٠).

من هذه التعريفات يمكن القول أن التصوف بوجه عام إسلوب حياة يتخذه الإنسان للقرب من الله ، لتحقيق كماله الأخلاقى، وطريقا لسعادته الروحية . وقد أخذ بهذا الإسلوب الكثير من سكان المغرب الأقصى، لذلك كان لزاما علينا أن نتحدث عن عوامل انتشار التصوف فى المغرب الأقصى .

---

(١٧) المصدر السابق والصفحة .

(١٨) التفتازانى : المدخل إلى التصوف الإسلامى، دار الثقافة للنشر ، القاهرة ١٩٨٣، ص١٢.

(١٩) التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص٣٣.

(٢٠) المصدر السابق ، ص٣٣ ، ٣٤.



الفصل الأول

عوامل انتشار التصوف فى المغرب الأقصى

أولا : العامل الخارجى " التأثير المشرقى "

ثانيا : العوامل الداخلية

التصوف في بلاد المغرب الأقصى وازدهاره

كان للتأثير المشرقى أكبر الأثر فى ازدهار التصوف، وازدياد أعداد المتصوفة فى بلاد المغرب الأقصى. وقد صادف التأثير المشرقى أرضا خصبة،إذ ساعدت عدة عوامل داخليةعلى تحقيق هذا النجاح الهائل الذى صادفه التصوف فى المغرب الأقصى.

أولا : العامل الخارجى (التأثير المشرقى) :

ظهرت الحركات الدينية فى المشرق الإسلامى منذ صدر الإسلام وقد وجدت لها اصداء فى الشمال الإفريقى، شاهدنا ذلك فى ظهور مذهب الخوارج الذى انتشر فى بلاد المغرب من أدناها إلى أقصاها . وكذلك الدعوة العلوية التى قامت على أساسها دولة الأدارسة فى فاس ، والمذهب الشيعى الذى قامت على أساسه الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب، وكذلك ظهور النزعة العقلية للمعتزلة والأشاعرة التى اتجه إليها الموحدون . لذلك كان الأمر سيبدو غريبا لو لم ينجح التصوف المشرقى فى النفاذ إلى بلاد المغرب الأقصى خاصة ويتغلغل فيه(١). فالتصوف المغربى وفد من المشرق(٢) ، وطبع الحياة الدينية بطابع خاص أساسه الزهد والتقشف فى الحياة الدنيا .

ويتضح التأثير المشرقى فى وجود بعض مؤلفات كبار متصوفيه فى المغرب الأقصى، وقيام المتصوفة المغاربة بدراستها شيوخا ومريدين . بل

---

(١) Bel : La Religion Musulmane en Berberie, Paris 1938 , Tome I , P 343

(٢) جورج مارسيه : بلاد المغرب الإسلامى وعلاقاتها بالمشرق الأسلامى فى العصور الوسطى، ترجمه محمود عبد الله هيكل ، مراجعة مصطفى ضيف، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٩١، ص٣٣٢ .

وصل التأثير المشرقى أيضا عن طريق رحيل عدد من متصوفة المغرب إلى المشرق، لأخذ العلم الصوفى والطريقة الصوفية على يد شيوخه من المشارقة. بالإضافة إلى ذلك فقد رحل بعض صوفية المشرق إلى المغرب الأقصى لزيارة أخوانهم هناك .

لقد ذاعت كتب بعض صوفية المشرق بين يدى صوفية المغرب الأقصى، واطلعوا عليها وتأثروا بها . وقد ساعدت تلك الكتابات فى نقل صلحاء المغرب الأقصى إلى مرحلة التصوف . ومن أهم المؤلفات الصوفية التى وجدت فى المغرب الأقصى كتاب " الرعاية لحقوق الله والقيام بها" "للمحاسبى"(٣). إذ أن أبا محمد عبد العزيز التونسى الذى استقر بمدينة أغمات(٤) وبها توفى عام ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م، قد أمر تلامذته بالنظر فى كتب علوم التصوف،وخصوصاً كتاب الرعاية للمحاسبى(٥).

---

(٣) المحاسبى هو أبو عبد الله الحارث بن أسد البصرى الأصل (١٦٥ - ٢٤٣هـ / ٧٨١ - ٨٥٧م) نشأ بالبصرة ثم ارتحل إلى بغداد ودرس بها الفقه الشافعى والنحو هو موسس مدرسة بغداد الصوفية انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨، جـ٢، ص٥٧ ، ٥٨ .

Massignon : Art Al muhsibi , in Encyclopedia of Islam.

(٤) مدينة أغمات تقع أسفل جبل درن من شماله وهى حاضرة المغرب قبل بناء مراكش وهى مدينتان إحداهما أغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانة . انظر : الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٠، ص ٤٦ .

(٥) التادلى : التشوف إلى رجال التصوف ، ص٩٢ ، ٩٣ .

العباس بن إبراهيم : الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام ، الرباط ، جـ٩، ص١٢٤.

كما قام أحد شيوخ التصوف بتدريس هذا الكتاب لمريديه نظرا لقيمته في هذا العلم فقد تلقى هذا الكتاب أبو مدين شعيب بن حسين الأنصارى المتوفى عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م سماعا على يد الصوفى أبى الحسن بن حرزهم(٦).

وكان تأثير المحاسبى - من خلال كتابه - كبيرا على صوفية المغرب الأقصى ، إذ وضع أسس التصوف الصحيح وقواعده وشروطه ، حتى أصبح علما يعتد به فى الفكر الإسلامى ، لأنه قام على الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين حتى أصبح تصوفه بعيداً عن الاختلاط بالآراء الفلسفية البعيدة عن روح الإسلام(٧). والموضوع الأساسى للكتاب هو كيفية رعاية حقوق الله عز وجل والقيام بها . فيبرز معالم الطريق الصوفى ويحدد عناصره ، وطريقة تأديب المريدين(٨) ، وتطهير النفس ووضع قواعد الحياة الأخلاقية الكاملة (٩).

---

(٦) الصومعى : المعزى فى أخبار ومناقب سيدى أبى يعزى ، مخطوطة بدار الكتب الرمز تاريخ تيمور ١٢٤٩، ميكرو فيلم ٣٧٧٠٣٢، ورقة ٧٠.

- التادلى : مصدر سلبق ،ص ٣٢٢.
- ابن قنفذ : أنس الفقير وعز الحقير ، نشر محمد الفاسى وأدولف فور، الرباط ١٩٦٥، ص١٤.
- المقرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، جـ ٧ ، ص ١٣٧ .
- السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء ١٩٥٤، جـ٢، ص١٨٩.

(٧) انظر مقدمة محققى كتاب الرعاية للمحاسبى، القاهرة بدون تاريخ ، ص ١٣،١٤.

(٨) المرجع السابق .

(٩) محمد جلال شرف : خصائص الحياة الروحية فى مدرسة بغداد ، دار الفكر الجامعى ، الاسكندرية ١٩٧٧، ص٢٢٤.

لقد وضع المحاسبى قاعدة الحياة التى ينبغى اتباعها . وتقوم على أساس محاسبة الصوفى لنفسه. وقد جاء لقبه المحاسبى من أنه كان شديد المحاسبة لنفسه(١٠) . ولذلك كان تأثيره على جمهور الصوفية المغاربة، من حيث محاسبتهم لأنفسهم عميق، واستمر هذا التأثير طويلا يتضح ذلك من استعراض بعض تراجم متصوفة المغرب الأقصى التى وردت فى كتب التراجم والطبقات فى الفترة الزمنية للبحث.

ويقول أبو مدين: بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة(١١). وأبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى المتوفى عام ٥٦١هـ/ ١١٦٥م الذى كان معلما وتصدق بجميع ما اكتسبه فى وقت التعليم، خوفا أن لا يكون قد وفى بما عليه من الحقوق(١٢)، فهو قد حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله. وأبو عبد الله محمد البردعى الأسود السجلماسى الذى كان يحاسب نفسه لشدة خوفه من الله(١٣) . وأبو زكريا يحيى بن صالح الهسكورى الذى كان محاسبا لنفسه أيضا كثير البكاء والخوف من الله(١٤) . وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عثمان الصنهاجى

---

(١٠) Massignom: Art Muhasibi, in Ency of Islam

- حورج قنواتى : التصوف ، مقال فى كتاب تراث الإسلام ، سلسلة عالم المعرفة العدد ١١ ، القسم الثانى ص٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(١١) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص١٩ .

(١٢) الصومعى : المعزى فى أخبار ومناقب أبى يعزى ، مخطوطة ، ورقة ١١.

التادلى : مصدر سابق ، ص ١٨٧.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، حـ١ ، ص٣٩٦.

(١٣) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٧٨ .

(١٤) المصدر السابق ، ص٣٦٢.

المراكشى المتوفى عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م الـذى تـاب ودخـل فـى طريـق التصـوف فكان نادما على ما فاته وكان كثير المحاسـبة لنفسه كثـير الحـزن والبكـاء[١٥]. وأبو زكريا يحيى بن يسولال الصنهاجي الذى كان مـائلا إلى التشـدد علـى نفسـه محاسبا لها خوفا من الله[١٦] وهناك الكثير من المتصوفة المغاربة الذيـن سـاروا علـى هذا النهج فى محاسبة أنفسهم[١٧] .

ومن مؤلفات كبار صوفية المشرق التى وجـدت بـين يـدى صوفيـة المغـرب الأقصى، واثرت فى تصوفهم الوليد مؤلف أبى طـالب المكى[١٨] بعنـوان " قـوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد". وهذا الكتـاب من أمهات كتب التصوف الإسلامى والتعليم الصوفى، التـى لا يسـتغنى عنهـا فـى تربية المريدين وتثقيفهم ثقافة إسلامية[١٩] .

لذلك كان الشيخ الصوفى أبو إبراهيم إسماعيل بن وجماتن الرجراجى – وهـو من أهـل أدار ([٢٠]) مـن بلـد رجراجـة وبهامـات عـام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م – يقـوم

([١٥]) المصدر السابق ، ص ٣٧٥.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، جـ٤، ص١٥١.

([١٦]) التادلى : مصدر سابق ، ص٢٣٠.

([١٧]) المصدر السابق ، صفحات ٣٨٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٨.

([١٨]) أبو طالب المكى هو محمد بن على بن عطية الحارثى واعظ زاهد له مصنفات فى التوحيد أصله من الجبل بين بغداد وواسط وسكن مكة فنسب إليها توفى عام٣٨٦هـ/ ٩٩٦م.

انظر ابن خلكان : مصدر سابق ، جـ٤، ص٣٠٣ .

([١٩]) انظر مقدمة تحقيق كتاب قوت القلوب للمحقق د. عبـد المنعـم الحفنـى، الطبعـة الأولى دار الرشاد، القاهرة ١٩٩١، ص٥١.

([٢٠]) أدار اسم شائع من اسماء الأمكنة والمقصود به بلد متوكة اليوم حوالى أربعة أميال بالنسبة للقادم من جهة مراكش. انظر : هامش رقم ٥٩ فى كتاب التشوف ، ص٣٤٣.

بقراءة هذا الكتاب لمريديه(٢١). لأن المكى قد وضع أسس المنهج الصوفى وشروطه، وقواعد تنظيم حياة السالكين والمريدين الذين ينتسبون إلى التصوف ، كما أنه حدد لهم مايكلفون به من واجبات وأعمال تعينهم على مجاهدة أهوائهم وتهذيب نفوسهم ليكونوا أهلا لعطاء الله وفضله.

ويهتم المنهج الذى وضعه المكى بالجانب العملى من التصوف، فالطريق الصوفى مجاهدة دائمة للنفس، تهدف إلى تغيير صفاتها المذمومة. ومجاهدة النفس ليس بالأمر الهين،لأن النفس محمولةعلىمخالفة الأمر مطبوعة على اتباع الهوى(٢٢).

كل تلك القواعد والأسس التى صاغها المكى فى كتابه، كان لها أكبر الأثر فى التصوف المغربى، فبهذه القواعد والأسس تم تربية المريدين . وبقراءة تراجم متصوفة المغرب الأقصى يتضح لنا مدى تأثرهم بآراء المكى. فتفيد هذه التراجم فى توضيح حرص هؤلاء المتصوفة على مجاهدة أنفسهم مجاهدة دائمة . والمجاهدة عند المكى هى الجوع والسهر والصمت والخلوة (٢٣) . وقد سلك العديد من صوفية المغرب الأقصى هذا الطريق من المجاهدة(٢٤).

ومن مؤلفات متصوفة المشرق التى وصلت إلى المغرب الأقصى، وأثرت فى الحياة الصوفية لمتصوفيه، مؤلفات أبى بكر المطوعى(٢٥) فى التصوف . وقد حملها إلى المغرب الأقصى المتصوف أبو عبدالله محمد بن سعدون بن على بن بلال

---

(٢١) التادلى : مصدر سابق ، ص٣٥٤ .

(٢٢) انظر كتاب المكى : قوت القلوب ، تحقيق د . عبد المنعم الحفنى .

(٢٣) المكى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص٣٤٠

(٢٤) التادلى : مصدر سابق ، تراجم رقم ١٢، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٧٣، ٨٤ ، ٨٧ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٤٥.

(٢٥) أبو بكر المطوعى هو محمد بن على بن عمر الغازى النيسابورى علم فى مكة فى الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى . انظر : هامش لمحقق كتاب التشوف، ص٧٤ .

القيرواني - المتوفى عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م - حين سافر إلى مكة وهناك التقى مع أبى بكر المطوعى، فأخذ عنه تأليفه فى التصوف. وغادر مكة عائدا إلى المغرب فاستقر فى أغمات وريكة(٢٦). وذاعت بذلك تلك المؤلفات ومنها كتاب " من صبر ظفر" وكتاب " المقالات فى المقامات " وله رسالة فى التصوف لعلها كتاب المقالات فى المقامات(٢٧) .

كما يعتبر كتاب " أحياء علوم الدين " لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى(٢٨) - المتوفى عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م - من أهم المؤلفات التى شاعت فى المغرب الأقصى، ولقيت رواجا لدى جماهيره من المتصوفة والصالحين. فمؤلفه من أعظم مفكرى المسلمين ، فقد كان متمكنا من علوم الدين، والمساهمة الأساسية التى قدمها الغزالى هو أنه استطاع أن يجعل التصوف جزءا من الدين ومقبولا لدى علمائه(٢٩). فهو الذى جعل للتصوف مكانة راسخة لدى أهل السنة(٣٠) .

---

(٢٦) التادلى : مصدر سابق ، ص ٨٣ .

عن أبى عبد الله محمد بن سعدون بن على بن بلال القيروانى انظر : ابن فرحون الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٢،جـ٢،ص١٩٩.

(٢٧) انظر هامش لمحقق كتاب التشوف ، ص ٨٣ ، ٨٤.

(٢٨) أبو حامد الغزالى حجة الإسلام محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الشافعى، أحد الإعلام تلميذ أمام الحرمين، ولاه نظام الملك التدريس فى مدرسته ببغداد توفي فى بلده طوس وله خمس وخمسون سنة .

انظر : الذهبى : العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت١٩٦٣، جـ٤ ، ص١٠.

(٢٩) قنواتى : مرجع سابق ، ص٢٤٦ .

جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فى الإسلام، ترجمه محمد يوسف موسى وآخرون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٩، ص١٧٩.

(٣٠) Macdonald : Art AL Ghazeli , in Ency of Islam

وليس أدل على ذيوع كتاب الإحياء من أن فقهاء دولة المرابطين خصوصا قاضى قرطبة أبا عبد الله محمد بن على بن حمدين، طلبوا من أمير المسلمين على ابن يوسف إحراق هذا الكتاب(٣١) لأن الغزالى شجب أحوالهم وطريقة عملهم ، فقد كان يدعو إلى المحافظة على أصول الإسلام الأساسية " القرآن الكريم والسنة النبوية" لأن المرابطين تركوا الأصول فى الدين، واعتمدوا على دراسة الفروع، واعتبروها أقصى غايات علم الدين بدلا من أن تكون مجرد فرع ثانوى(٣٢)، ووافقهم على بن يوسف لذلك أرسلت الكتب إلى جميع أنحاء الدولة المرابطية بأمر إحراق الكتاب حيثما وجد، فأخذت نسخ الكتاب ممن كان يقتنيه وأحرقت فى كل بلاد المغرب والأندلس عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م(٣٣) .

ولأهمية هذا الكتاب لمتصوفة المغرب الأقصى - لأن الغزالى لعب دورا كبيرا فى التوفيق بين التصوف والإسلام إبتداء من أواخر القرن ٥هـ/ ١١م(٣٤) - فقد عارضوا قرار الإحراق . فالصوفى يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوى والذى استوطن سجلماسة وفاس- والمتوفى عام ٥١٣هـ/١١١٩-

---

(٣١) ابن القطان: نظم الجمان، تحقيق محمودعلى مكى، الرباط بدون تاريخ، ص١٤-١٦.

مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، الدار البيضاء ١٩٧٩ ، ص١٠٤.

Oliver, R: Almorvids and Almohads the Cambridge history of Africa, Cambridge , vol 3 , p338 .

(٣٢) الغزالى: أحياء علوم الدين، القاهرة بدون تاريخ ، جـ١ ص٤٢ إلى ٤٥.

(٣٣) ابن القطان : مصدر سابق ، ص١٤ ، ١٦.

الونشريسى : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق محمد حجى وآخرون ، بيروت ١٩٨١، جـ١٢ ، ص١٨٦ .

مجهول : الحلل الموشية ، ص١٠٤ .

(٣٤) Bel : op cit , Tome I , pp 341, 345

لم يلتزم بما أفتى به فقهـــاء المرابطين وانتصر لأبى حـامد ، وكتـب إلى السـلطان فى ذلـك(٣٥) كمـا أن ابـن حرزهـم قـال : "عندمـا وصـل إلى فـاس كتـاب أمـير المسلمين على بن يوسف بالتجريح على كتاب الأحيـاء وأن يحلف الناس بالإيمـان أن الإحيـــاء ليس عندهم . ذهبت إلى أبـى الفضــل النحـوى استفتيه فـى تلـك الإيمان فأفتى بأنها لا تلزم" بل يذكر ابن حرزهم أيضاً أن ابن النحوى كانت عنده أسفار كتاب الإحيـــاء وسمعه يقول : هذه الأسفار من كتاب الإحياء وددت أنى لم أنظر عمرى سواها(٣٦) بل قام بنسخ كتاب الإحياء فى ثلاثين جزء(٣٧).

وقـد تعلـق صوفيـة المغـرب الأقصـى بهـذا الكتـاب لأنـه موافــق للكتــاب والسنة(٣٨) لذلك اعتكف الصوفـى علـى بـن إسمـاعيل بـن محمـد بـن عبـدا لله بـن حرزهـم - من أهل فاس والمتوفى عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م - علـى قراءتـه فـى بيتـه

---

(٣٥) التادلى : مصدر سابق ، ص ٩٥، ٩٦.

أحمد بابا التنبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم عبد الحميد عبـد ا لله الهرامـة، الطبعة الأولى ، طرابلس ١٩٨٩، ص٦٢٤، السلاوى : الاستقصا، حـ٢ ، ص٦٧ .

ابن القاضى : جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس، الرباط ١٩٧٧، حـ٢، ص ٥٥٢.

(٣٦) التادلى : مصدر سابق ، ص٩٦. أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٢٤.

ابن القاضى:مصدر سابق،حـ٢، ص ٥٥٢. السلاوى : مصدر سابق ، حـ٢ ، ص٦٧.

(٣٧) التادلى : مصدر سابق ، ص٩٦.

أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٦٢٤.

(٣٨) التادلى : مصدر سابق ، ص١٦٩.

ابن قنفذ : مصدر سابق، ص١٣.

ابن القاضى : مصدر سابق ، حـ٢ ، ص٤٦٦.

السلاوى : مصدر سابق ، حـ٢ ، ص ١٨٤.

مدة عام (٣٩)ويحتمل أن يكون على بن إسماعيل بن حرزهم قد قرأ هذا الكتاب على يدعمه صالح بن محمد بن حرزهم الذى رحل إلى المشرق وانقطع مدة بالشام فلقى أبا حامد الغزالى(٤٠).ومن المتصوفة الذين تعلقوا بهذا الكتاب أبو مدين الذى قال: " نظرت فى كتب التصوف فما رأيت مثل الإحياء للغزالى"(٤١)لذلك لم يكن غريبا أن يكون لكتاب الإحياءسوقا رائجةفىأسواق الكتب بالمغرب الأقصى (٤٢).

على أية حال كان كتاب الإحياء من أهم كتب صوفية المشرق التى أثرت فى صوفية المغرب الأقصى فاستعملوا ما فيه من الأذكار والأدعية والأوراد(٤٣).

كما ذاع بين صوفية المغرب الأقصى " كتاب الرسالة القشيرية فى التصوف" لأبى القاسم القشيرى(٤٤) يؤكد ذلك أن أبا مدين كانت له

---

(٣٩) التادلى : مصدر سابق ، ص١٦٨ ، ١٦٩.

ابن القاضى : مصدر سابق، حـ٢، ص٤٦٦.

السلاوى : مصدر سابق ، حـ ٢ ، ص١٨٤.

(٤٠) ابن القاضى : مصدر سابق ، حـ ٢ ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩.

(٤١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢١٤.

الغبرينى : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض ، بيروت بدون تاريخ ، ص٢٣.

المقرى : مصدر سابق، حـ٧ ، ص١٣٧.

(٤٢) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٧٩.

(٤٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٠.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، حـ٤ ، ص ١٢٠.

(٤٤) القشيرى هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابورى شيخ خراسان فى عصره زهداً وعلماً بالدين ولد سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م وتوفى عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م.

مجالس للوعظ يعلم فيها، فتخرج على يديه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين وأرباب الأحوال([45]) وكان يتناول فى مجالسه رسالة القشيرى فى التصوف([46]) .

وهو كتاب ألفه الإمام القشيرى كما يقول فى مقدمة كتابه " إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام فى سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م " وقد ألفها حينما رأى فى صوفية عصره أنواعا من الانحراف عن خط التصوف الصادق، ألفها لتكون مقياسا صحيحا لمن أراد أن يسير على الطريق المستقيم([47]). والواقع أن التوفيق قد صاحب القشيرى فى المنهج وفى الموضوع([48]).

لقد تحدث عن عقائد الصوفية، وبين أنها موافقة للكتاب والسنة كما تحدث عن آداب المريد وصفات الشيخ ومسائل تهم دارس التصوف وكل سالكى الطريق الصوفى([49]). إنه كتاب لا غنى عنه للمتصوفة([50]).

---

(٤٥) ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة ابن شنب، الجزائر ١٩٠٨ ، ص١٠٨. المقرى : مصدر سابق ، جـ ٧ ، ص١٣٧.

(٤٦) الغبرينى : مصدر سابق ، ص٢٦.

ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص١٧.

(٤٧) القشيرى : الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود وآخرون ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٦، جـ١ ، ص١٨.

عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث، دار المعارف، القاهرة بدون تاريخ، ص٣٨ ، ٣٩.

(٤٨) المرجع السابق والصفحة .

(٤٩) انظر رسالة القشيرى فى التصوف.

(٥٠) عبد الحليم محمود : مرجع سابق ، ص ٣٨، ٣٩.

كما تأثر متصوفة المغرب الأقصى بالتصوف المشرقى ، عن طريق رحيل عدد منهم للمشرق للاطلاع على مؤلفات التصوف، والالتقاء بصوفيته. فرحل أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان الدكالى- نزيل أغمات وبها توفى عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م - إلى المشرق وأخذ الطريقة على حقيقتها. فلقى به شيخا من الصوفية فاخذ عنه علم التصوف شيخا عن شيخ بالسند المتصل إلى أبى ذر الغفارى صاحب النبى صلى الله عليه وسلم(٥١). كما أن من شيوخه المشارقة أبو الفضل الجوهرى(٥٢)، والأخير شيخه والده بشر، وبشر شيخه السرى السقطى (٥٣)، والأخير شيخه الكرخى(٥٤).

كما رحل عدد من متصوفة المغرب الأقصى إلى مدينة مكة منهم أبو محمد عبد الله بن موسى الجزولى من سجلماسة وبها توفى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م(٥٥)،

---

(٥١) الصومعى : المعزى فى مناقب أبى يعزى ، مخطوطة ، ورقة ٩ .

التادلى : مصدر سابق ، ص١٤٦.

العباس بن إبراهيم : الإعلام ، حـ ٨ ، ص٢٩.

(٥٢) أبو الفضل الجوهرى هو عبد الله بن بشر كان إمام وقته علما وعملا وحالا.

انظر : الصومعى : المعزى ، مخطوطة ، ورقة ١٦.

(٥٣) السرى السقطى هو أبو الحسن خال الجنيد وأستاذه بغدادى المولد والوفاة أخذ عن الكرخى انظر : القشيرى : مصدر سابق ، حـ١ ، ص٦٤.

(٥٤) الكرخى : هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى كان ناسكا متصوفا توفى فى بغداد سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م . انظر :

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، حـ٥ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، حـ١ ، ص ٣٦٠ .

(٥٥) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٧٧.

وأبو عمران موسى الصاريوى الذى جاور بمكة(٥٦). واطلعوا على بعض مؤلفات صوفية المشرق أمثال مؤلفات أبى بكر المطوعى فى التصوف التى كانت موجودة فى مكة التى عاش بها(٥٧) .

وهناك من متصوفة المغرب الأقصى من رحل إلى المشرق، لكن لم تحدد لنا المصادر الوجهة التى اتجهوا إليها واستقروا فيها هناك. منهم الصوفى أبو محمد يرزجان بن محمد الجزولى(٥٨) ، وأبو عبد الله محمد البردعى الأسود السجلماسى(٥٩) على أية حال سواء اتجهوا إلى بلاد الحجاز أو الشام أو العراق أو أقاموا فى مصر فقد اطلعوا على مؤلفات صوفية المشرق التى ذاعت شهرتها مثل الرعاية لحقوق الله، وقوت القلوب والاحياء وغيرها من المؤلفات.

و لم يقتصر الأمر على سفر صوفية المغرب إلى المشرق بل حدث العكس، إذا أدت العلاقات الوثيقة التى ربطت بين المتصوفة المغاربة وإخوانهم من المشارقة إلى قيام الآخرين بزيارة متصوفة المغرب الأقصى. فيذكر لنا التادلى أن طائفة من متصوفة المشرق وصلوا إلى بلد أزمور(٦٠) لزيارة أبى عبد الله بن أبى أمغار وأبى شعيب وأبى عيسى وزجيج بن ولوون الصنهاجى فوجدوهم قد ماتوا(٦١) .

---

(٥٦) المصدر السابق ، ص ٢٨٨

(٥٧) المصدر السابق ، ص٨٣.

(٥٨) المصدر السابق ، ص٢٦٧.

(٥٩) المصدر السابق ، ص٢٧٨.

(٦٠) أزمور مدينه قديمة على شاطئ المحيط الاطلنطى عند مصب وادى أم الربيع انظر: مارمول: أفريقيا، ترجمه محمدحجى وآخرون، الرباط ٨٨، ١٩٨٩، حـ٢ ، ص٨٧.

(٦١) التشوف إلى رجال التصوف، ص١٨٥.

ويتضح التأثير المشرقى فى انتقال طريقة الملامتية فى التصوف إلى المغرب الأقصى، وتمسك بعض صوفيته بها - وهى طريقة صوفية ظهرت فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى بمدينة نيسابور(٦٢). كما توجد طوائف منهم فى خراسان، والعراق(٦٣) - يؤكد ذلك أن الصوفى أبا الحسن على ابن اسماعيل بن محمد بن حرزهم الفاسى المتوفى عام ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣م كان سالكا فى التصوف سبيل أهل الملامتية(٦٤) .

ويقوم تصوف هذه الطائفة على أساس أن يخفوا أمرهم على الناس فى العبادة وفى الاقبال على الله، ويرون أن الإخلاص يتوافر بذلك فى صورة أكمل. أى أن الملامتى تشربت عروقه طعم الإخلاص وتحقق بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله، والإخلاص عندهم هو كتم الأحوال والأعمال حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته(٦٥).

وإذا كان الملامتى يعمل فى كتم العبادات، فإنه يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه ، كما أنه يوقف نفسه موقف العوام فى هيئته وملبوسه وحركاته وأموره سترا للحال لئلا يفطن له الناس .

---

(٦٢) عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية فى الإسلام، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٦٦، ص٤١١.

(٦٣) السهروردى : مصدر سابق ، ص ٧٤.

(٦٤) التادلى : مصدر سابق ، ص١٦٩.

(٦٥) ابن عربى : الفتوحات المكية، حـ١١، ص٣٤٠ ، ٣٤١.

السهروردى : مصدر سابق ، ص٧٢.

عبد الحليم محمود : أبو مدين الغوث، ص٣٢.

والقاعدة التى ابتنى عليها التصوف الملامتى إذلال النفس وتذليلها وتحقيرها، وحرمانها من كل ما ينسب إليها من علم وعمل أوحال أو عبادة ليس هذا فقط بل ونسبة الشر لها كمصدر ثابت(٦٦).

على أية حال فإن التصوف الذى ولد وترعرع فى المشرق شأنه شأن جميع الفرق والمذاهب الدينية، قد نفذ إلى المغرب الأقصى وأثر فى دفع حركة التصوف فى المجتمع خاصة فى عصرى المرابطين والموحدين. ساهم فى ذلك أن أرضه كانت أكثر مواتاه من غيرها وكانت ميدانا خصبا لانتشاره ويرجع ذلك إلى عدة عوامل داخلية .

ثانيا : العوامل الداخلية :

وتتعدد العوامل الداخلية التىأثرت فى نشأة وازدهار التصوف فى بلاد المغرب الأقصى .

العامل الأول : الطبيعة الدينية للدولتين المرابطية والموحدية: فقد قامت الدولة المرابطية على اساس دعوة دينية هى إصلاح الإسلام السنىوإقامة ما يفترضه الإسلام من الفرائض والسنن والأحكام التى أهملت(٦٧) ومن أجل إقرار المذهب السنى قامت الدولة المرابطية منذ قيامها بمحاولة القضاء على المذاهب الخارجية

---

(٦٦) عبد القادر محمود : مرجع سابق ، ص٤١٢، ٤١٣.

(٦٧) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، القاهرة ١٩٨٣. حـ ٢٤، ص ٢٥٣.

ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، حـ٤ ، ص٧ إلى ١٠.

مجهول : الحلل الموشية ، ص٦٦ .

والمنحرفة . فحاربوا قبائل برغواطة(٦٨) الخارجية الصفرية وأضعفوها(٦٩). كما قضوا على البدع والمذاهب المنحرفة فى إقليم غمارة(٧٠) و استأصلوا بقايا المذهب الشيعى فى مدينة تارودانت(٧١) والذى استقر بها منذ أيام أبى عبد الله الشيعى(٧٢). وبذلك نجح المرابطون فى تحقيق الوحدة الدينية للمغرب الأقصى وإقرار مذهب مالك.

أما الدعوة الموحدية التى قامت على أساسها الدولة الموحدية، فقد قامت بسبب الجمود الفكرى الذى سيطر على فقهاء المرابطين الذين لم يهتموا إلا

---

(٦٨) قبائل برغواطة ليست لأب واحد واصل واحد إنما هم اخلاط من قبائل شتى موطنهم إقليمم تامسنا تدين بمذهب برغوطة وهى حراوة وزواغه ومطغرة ومطماطة وغيرهم انظر : حسين سيد عبدا لله : قبائل المصامدة منذ الفتح الإسلامى حتى قيام دولة الموحدين بالمغرب، رسالة دكتوراه غير منشورة، بمعهد البحوث الإفريقية،جامعة القاهرة١٩٩١،ص٣٤، ٣٥، ٣٦.

(٦٩) عن حروب المرابطين ضد إمارة برغواطة فى تامسنا انظر:

ابن خلدون : العبر،حـ٦ ،ص٤٣٤. ابن عذارى : مصدر سابق، حـ٤ ، ص١٦، ١٧

- ابن أبى زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق محمد الفيلالى، الرباط ١٩٣٦، حـ٢ ، ص٢٤،٣٢.

ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، نشر أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى، الدار البيضاء ١٩٦٤ ، حـ٣ ، ص٢٣١.

Juline : History of North Africa , London 1970 .p 82.

(٧٠) ابن عذارى : مصدر سابق، حـ٤ ، ص٥٨.

(٧١) تارودانت قرية كبيرة تقع على واد ى ماست الذى يجرى فى إقليم السوس الأقصى. انظر الحميرى: مصدر سابق ، ص٣٣٠.

(٧٢) السلاوى : الاستقصا ، حـ٢ ، ص١٣.

إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ ،الدار البيضاء١٩٨٤،الطبعةالثانية،حـ١،ص١٥٩.

بدراسة كتب الفروع مثل كتاب" الفقـه العملى بحسب مذهب الإمـام مـالك " وأهملوا الاجتهاد المستند إلى الأصـول نفسـها وهـى الكتـاب والسنة(٧٣) وجديـر بالذكر أن المنبع الذى استمد منه الموحدون هو تعاليم الإمام الغزالى التى تدعـو إلى المحافظة على أصول الإسلام الأساسية.

وعلـى الرغـم مـن التبـاين بـين الدعوتـين المرابطيـة والموحديـة إلا أنهمـا كان لهما أكـبر الأثـر فـى تعميـق الشـعور الدينـى لـدى سـكان المغـرب الأقصـى، وفـى بدايـة ظهـور أقطـاب التصـوف فـى عصـر المرابطـين وزيـادة أعدادهـم فـى عصـر الموحديـن.

العامل الثانى : السـيرة الذاتيـة لحكـام الدولتـين المرابطيـة والموحديـة اللتـين شجعت على نمو حركة التصوف فى المجتمع ودفعها إلى الأمام. فقد كـانوا القـدوة لرعاياهم فى الزهـد والتقشـف وشـدة التديـن، والعكـوف علـى العبـادة. فتخبرنـا المصادر بأن الشيخ عبـدا لله بـن ياسـين كـان فقيهـا عالمـا ورعـا دينـا(٧٤) ، وأمـير المسلمين يوسف بن تاشفين كان فاضلا خيرا زاهدا كثير الخوف من ا لله عز وجل مقبلا على أداء الفرائض والعبادات(٧٥) أما على بن يوسف فكان يعـد فـى الزهـاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد فى الملوك. وبلغ حرصه فى تنفيذ تعـاليم الديـن أنـه كان لا يقطع أمرا ولا يبت فى صغير من الأمور ولا كبير الأفى حضور أربعـة مـن

---

(٧٣) المراكشى : المعجـب فـى تلخيـص أخبـار المغـرب، تحقيـق محمـد سـعيد العريـان وآخرون، القاهره ١٩٤٩ ص١٧٢، ١٧٣.

BEL : OP Cit , Tome I, PP 226-227.

(٧٤) النويرى : نهاية الأرب، جـ٢٤ ، ص٢٥.

(٧٥) ابن عذارى : البيان ، جـ٤ ، ص٤٦ .

مجهول : الحلل الموشية ، ص٨١، ٨٢.

الفقهاء(٧٦) كما كان كثير الصدقة عظيم البر(٧٧) وهكذا كان يرجع فى حكمه إلى العدل والدين(٧٨).

أما السيرة الذاتية لحكام الموحدين فنجد أن المهدى محمد بن تومرت كان فقيها فاضلا محدثا عارفا باصولى الدين والفقه ورعا ناسكا(٧٩) وخليفته عبد المؤمن بن على كان يعظم أمر الدين ويقويه، ويلزم الناس فى سائر بلاده بالصلاة(٨٠) وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين وإليهم المرجع والكلام معهم(٨١). كما كان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن حافظا للقرآن ، كما كان يحفظ أحد الصحيحين إما البخارى أو مسلم(٨٢) ، واشتهر بزهده وورعه وعدله(٨٣). ولم تختلف سيرة يعقوب المنصور عن اسلافه بل تفوق عليهم فى تدينه فقد أظهر الزهد والتقشف وخشونة المأكل والملبس حتى انتشر فى أيامه الصالحون وعظمت مكانتهم، وكان يطلبهم ويستدعيهم من أنحاء دولته ويكتب إليهم يسألهم الدعاء ويصل منهم من يقبل صلته بالصلات الجزيلة(٨٤) .

---

(٧٦) المراكشى : مصدرسابق ، ص١٧١.

(٧٧) العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، جـ ٤ ، ص١٥ ، ١٦.

(٧٨) مجهول : الحلل الموشية ، ص٨٤.

(٧٩) النويرى : مصدر سابق ، جـ ٢٤ ، ص٢٧٧ .

(٨٠) المصدر السابق والجزء ، ص ٣١٨ .

(٨١) المراكشى:مصدر سابق ،ص٢٠٠ ، ٢٠١،النويرى:مصدر سابق،جـ٢٤،ص٣١٨

(٨٢) المراكشى:مصدر سابق ،ص٢٣٧.

(٨٣) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، بيروت ١٩٦٤ ، ص٢٣٣ ، ٢٣٤.
النويرى : مصدر سابق، جـ ٢٤ ، ٣٢٧.

(٨٤) المراكشى : مصدر سابق ، ص ٢٣٨ .
النويرى : مصدر سابق ، جـ ٢٤ ، ص٣٢٨ .

العامل الثـالث : النزعـة العقليـة التـى اتجـه إليهـا الموحـدون فـى إدراك ا لله وصفاته فقد أدت إلى نمو التصوف وازدياد انتشاره فى المغرب الأقصى(٨٥) .

فابن تومرت تأثر بأراء المعتزلة فى إثبات الصفات(٨٦)، كما أنه اختلف فـى تصوره لوحدة ا لله المطلقةعن فقهاء المرابطين، وعلىأسـاس تصـوره للتوحيـد أقـام مذهبه،وبه سمى اتباعه الموحدين، وقد أورد مذهبه فى مؤلفه " أعز ما يطلب("٨٧).

العامل الرابع : انتشار الربط(*) فى كل أنحاء المغرب الأقصـى ممـا كـان لـه أكبر الأثـر فـى نمـو التصـوف. فقـد وفـرت الربـط مكانـا للعكـوف علـى العبـادة والمجاهدات، ومكانا للتعليم الصوفى، الـذى يسـعى إليـه المريـدون السـالكون لهـذا الطريق. وقد أطلقت كلمة الرباط على أى منشأة دينية وحربيـة اختـص المسـلمون بها دون غيرهم . ويتصل نظام الرباط بالجهاد فالرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، فالمستقرون فى الرباط معظمهم من المجاهدين فى سبيل ا لله.(٨٨) ومـن ثـم كـانت خطة الرباط تتكون من سور حصين يحيط به حجـرات للسـكن ومخـازن للأسـلحة والمؤن وبرج للإشارة.

---

(٨٥) Bel : op cit , PP 342, 343 .

(٨٦) ابن القطان : نظم الجمان، ص ١١، ١٢ .

حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص١٨٤.

(٨٧) محمـد بـن تومـرت : أعـز مـا يطلـب ، نشـر حولـد تسـهير ، الجزائـر ١٩٠٣ ص٢٣٢- ٢٣٣ .

(*) عن موقع الأربطة فى المغرب الأقصى انظر : الخرائط من شكل ١ إلى شكل ٥ .

(٨٨) دائرة المعارف الإسلامية مادة رباط.

Bel : op cit , P 106.

وكانت الشواطىء تعج بالرباطات (٨٩) . وكان ثمة رباطات على شاطىء المغرب الأقصى بعضها فى نكور(٩٠) وأرزله. وقد قامت بردغارات قراصنة الشمال،وبعضها فى سلا(٩١) لتيسيرأسباب الغارة علىخوارج برغواطة(٩٢) . كما يوجد رباط على ساحل البحر فى وادى ماسين وله مرسى مأمونة، وعليه حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به(٩٣) كما كان موضع مدينة أصيلة رباطا(٩٤) .

لكن مع رسوخ الإسلام فى بلاد المغرب والقضاء على البدع والمذاهب المنحرفة، واختفاء التهديدات الخارجيةفى ذلك الحين، اختفت الوظيفة الحربية للربط، فلم تكن هناك حاجة إلى الرباطات كضرورة عسكرية. حدث هذا التطور فى أواخر عهد المرابطين وأصبحت للربط وظيفة دينية فقط، وظلت الأربطة عامرة يقصدها العباد والمتصوفة . أى أن الرباطات أصبحت زوايا أى مقامات للعباد المنقطعين للعبادة والزهد والمجاهدات الصوفية (٩٥) .

هكذا شد متصوفة المغرب الأقصى الرحال إلى الأربطة، سواء أكانت فى المناطق الساحلية، أو المناطق الداخلية . وكما أوضحنا فإن الأربطة الساحلية أصبحت ذات مهمة دينية، وليست حربية فى الفترة الزمنية للدراسة . ومن الأربطة

---

(٨٩) دائرة المعارف الإسلامية مادة رباط .

(٩٠) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، الجزائر ١٨٥٧، ص٩١.

(٩١) سلا مدينة قديمة فى غربها المحيط الاطلنطى وفى جنوبها النهر وهى متوسطة بين بلاد المغرب الأقصى كثيرة الرخاء: انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان،باريس ١٨٢٠، ١٣٠، ١٣١.

(٩٢) البكرى : مصدر السابق ص٩٠.

دائرة المعارف الإسلامية مادة رباط.

(٩٣) البكرى : مصدر سابق ، ص٨٠.

(٩٤) المصدر السابق ، ص١١٢.

(٩٥) . Bel. : Op. Cit , Tomel , p 107.

الساحلية التى أقام بها الزهاد والمتصوفة رباط مدينة سلا وكان يقع على ساحل المحيط الأطلنطى(٩٦) وفى مدينة أزمور هناك رباط تيطنفطر(٩٧) وهذا الرباط من أقدم الرباطات بالمغرب الأقصى ووجوده سابق على العهد المرابطى. وهو معروف الموقع إلى اليوم. إذ يقع على بعد بضعة أميال جنوب مدينة الجديدة على شاطىء المحيط(٩٨)ورباط آخر يسمى رباط أيبسين وهو يعنى رباط الخيل(٩٩) وفى مدينة أسفى(١٠٠) رباطان الأول يسمى رباط تامرنوت وهو يقع قرب البحر بأسفى(١٠١)، والرباط الثانى يسمى باسم المدينة رباط أسفى(١٠٢). كما يوجد رباط ساحلى آخر ويقع بالقرب من ساحل أنفا(١٠٣) يسمى رباط تامنغاطت(١٠٤).

أما الأربطة التى اقيمت فى داخل البلاد بعيدا عن السواحل فهى كثيرة ، ومن أهمها رباط شاكر ويقع على ضفة نهرتانسيفت ومحله اليوم قرية تسمى سيدى شيكرة بجانب المسجد العتيق المعروف بالرباط، حيث كان اجتماع صالحى

---

(٩٦) التادلى : التشوف ، ص١٥٧.

(٩٧) المصدر السابق ، ص٢٠٩.

(٩٨) انظر هامش رقم ٤٦٢ لمحقق كتاب التشوف ، ص٢٠٩.

(٩٩) التادلى : مصدر سابق ، ص٤١٤.

(١٠٠) أسفى مرسى فى أقصى المغرب وهى آخر مرسى تبلغه المراكب من عند الأندلس إلى ناحية الجنوب ومن مرسى أسفى إلى مرسى ماست مائة وخمسون ميلا .

الحميرى : الروض المعطار ، ص٥٧.

(١٠١) التادلى : مصدر سابق ، ص٤٣٣.

(١٠٢) المصدر السابق ، ص٤٣٩.

(١٠٣) ساحل أنفا بقرب وادى أم الربيع كثير الزرع والمواشى والإبل والبقر والغنم.

الحميرى : مصدر سابق ، ص٣٥.

(١٠٤) التادلى : مصدر سابق ، ص١٦٦.

المغرب ولا سيما فى شهر رمضان من أجل ختم القرآن . وحيث كانت منابر الوعظ من أجل نشر الإسلام وتثبيته فى أوساط المصامدة وغيرهم .

كما كان هذا الرباط مقصد للمريدين فى طلب شيوخ التصوف والصالحين(١٠٥) ورباط شاكر واحد من رباطات نشأت على هوامش المناطق السهلية التى كانت تحتلها قبائل برغواطة التى وردت الأخبار بأنها كانت تتبع المذهب الخارجى الصفرى لمدة تزيد عن ثلاثة قرون سابقة عن الموحدين. وشاكر هذا من أصحاب عقبة بن نافع(١٠٦) وإن يعلى بن مصلين الرجراجى هو الذى بنى مسجد رباط شاكر، وكان ذلك فى قرابة نهائة المائة الرابعة من الهجرة . كما كان يقاتل برغواطة لانحرافها، وقد غزاهم مرات عديدة (١٠٧) .

أما مدينة فاس فقد أقيم فيها رباطان الأول يقع بالقرب من فاس انقطع فيه الصوفية للعبادة(١٠٨) ، والرابطة الأخرى تسمى رابطة زرهون(١٠٩) .

كما وجدت عدة أربطة فى مدينة مراكش ، منها رباط تاسماطت(١١٠) ورباط أوجدام فى بلد ركونة من عمالة مراكش (١١١) ، وأخيرا رباط الغار الذى يقع خارج سور مراكش خارج باب أغمات(١١٢). وفى منطقة

---

(١٠٥) المصدر السابق ، صفحات ٥١ ، ٣٦٥، ٣٩٤ ، ٤٠٢.

(١٠٦) المصدر السابق ، ص٥١ .

(١٠٧) المصدر السابق ، ص٥١ ، ٥٢.

(١٠٨) المصدر السابق ، ص١٠٣ ، ص١٧٢ .

(١٠٩) المصدر السابق ، ص٣٦٨.

(١١٠) المصدر السابق ، ص١٦٤ ، ص٢٣٥.

(١١١) المصدر السابق ، ص٢٢٧ . العباس بن إبراهيم : الإعلام ، جـ ٣ ، ص ١٠١.

(١١٢) التادلى : مصدر سابق ، ص٣١٢ ، ٣٤٣.

هسكورة(١١٣) هناك رباطان هما رباط حكم (١١٤) ورباط ملولاسن(١١٥). وفى منطقة دكالة(١١٦) يوجد رباط تانوتن ظهير ويعنى بئر الحمام (١١٧). وفى مدينة نفيس(١١٨)هناك رباط عقبة على وادى نفيس(١١٩). أما سجلماسة(١٢٠) فيها رباط أيندور الذى يقع خارج مدينة سجلماسة(١٢١) .

---

(١١٣) اقليم هسكورة يمتد شمالا على حدود دكالة وفى جنوبه بعض فروع الأطلس الكبير ويمتد غربا إلى نهر أنماى وشرقا إلى وادى العبيد الذى يفصل الإقليم عن إقليم تادلا ووادى أم الربيع ويقع على بعد عشرين فرسخا من جهة الغرب من مدينة مراكش . انظر :

مارمول : أفريقيا ، جـ ٢ ، ص١٠٦.

(١١٤) التادلى : مصدر سابق ، ص١٥٢.

(١١٥) المصدر السابق ، ص ٣٨٨.

(١١٦) منطقة دكالة تمتد من الشمال إلى الجنوب أربعة وعشرين فرسخا ومن الشرق إلى الغرب ثلاثون فرسخا يفصل نهرتا نسيفت الإقليم عن بلاد حاحه، ونهرام الربيع يفصلها عن تامسنا : انظر الإدريسى : مصدر سابق، جـ١، ص٢٤١ .

مارمول : مصدر سابق ، جـ٢ ، ص٧٠.

الحسن الوزان: وصف أفزيقيا ، ص١٦١.

(١١٧) التادلى : مصدر سابق ، ص٢٢٥.

العباس بن إبراهيم : الإعلام ، جـ٣ ص٢٥٠.

(١١٨) نفيس مدينة قديمة أزلية تلى السوس الأقصى ولها نهر ينزل من جبل درن .

البكرى : مصدر سابق ، ص١٦٠.

(١١٩) التادلى : مصدر سابق ، ص٣١٥، ص ٤٠١.

(١٢٠) سجلماسة مدينة بنيت سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م وهى مدينة حولها أرياض كثيرة وهى على نهرين كثيرة النخل والأعناب وهى أول الصحراء ومنها يدخل إلى بلاد السودان إلى غانة مسيرة شهرين . البكرى : مصدر سابق ، ص١٤٨ ، ١٤٩.

(١٢١) التادلى : مصدر سابق ، ص٤١٢.

على أية حال فإننا نرى أن الأربطة التى أقيمت فى داخل البلاد وبعيدا عن السواحل قد ظهرت أواخر القرن٥هـ/١١م. واقتصر دورها على جهاد النفس ، بحملها على مخالفة الهوى، وتهذيب الأخلاق النفسية(١٢٢)، فأصبح الرباط بيتا للصوفية. كما أن هذه الأربطة لم تقتصر الإقامة بها على رجال التصوف بل إن بعض الأربطة كان بها أماكن لإقامة النساء الذين دخلوا طريق التصوف. فهناك المتصوفة منية بنت ميمون الدكالى التى كانت تقيم فى رباط شاكر(١٢٣).كما كانت أم عصفور تيعزان بنت حسين الهنتقى من أهل رباط ملولاسن بهسكورة(١٢٤).

وعن إقامة الصوفية فى الأربطة فقد اختلفت، فمنهم من كان يقيم إقامة دائمة حتى يتوفاه الله وهو مقيم بالرباط(١٢٥)، وهناك من كانت إقامته تصل إلى ستة أشهر (١٢٦)، وهناك من كان يعتكف بالأربطة خلال شهر رمضان(١٢٧)وآخرون كانوا يقيمون فى الأربطة و لم تحدد لنا المصادر مدة إقامتهم(١٢٨) .

كان الصوفية فى الأربطة يقضون وقتهم ما بين الذكر والصلاة والبكاء من خشية الله (١٢٩).كما كانت منابر الوعظ فى الأربطة تعمل على جذب الزائرين

---

(١٢٢) عن مجاهدة النفس انظر : ابن عربى : الفتوحات المكية ، جـ١٣ ، ص٢٠٨.

(١٢٣) التادلى : مصدر سابق ، ص٣١٦.

(١٢٤) المصدر السابق، ص ٣٨٨.

(١٢٥) المصدر السابق ، ص ١٥٢،٢٢٧،٣١٢،٣٤٣.

(١٢٦) المصدر السابق ، ص ١٥٧.

(١٢٧) المصدر السابق ، ص٤١٢.

(١٢٨) المصدر السابق ، ص٢٢٥.

(١٢٩) المصدر السابق ، ص١٧٢ ، ص٤٣٩.

لها للدخول فى الطريق الصوفى، فقد كان أبو محمد تيلجى بن موسى على سبيل المثال يعظ الناس على منبر رباط شاكر(١٣٠) .

وقد أدى هذا الأمر إلى إقبال أعداد كبيرة من أفراد المجتمع على الدخول فى سلك التصوف خصوصا مع وجود الأربطة التى هيأت لهم مكانا للانقطاع عن المجتمع، ومراجعة النفس ومحاسبتها. وكما يقول أبو مدين : " من علامات صدق المريد فراره عن الخلق"(١٣١) .

العامل الخامس : قيام بعض شيوخ التصوف المغربى بوضع مؤلفات فى التصوف، حتى تكون هذه المؤلفات فى متناول إخوانهم فى الطريق وتوضح لهم المبادىء الجوهرية لطريق التصوف. مثلما وضع صوفية المشرق العديد من المؤلفات.

ويعد كتاب " محاسن المجالس" لأبى العباس أحمد بن محمد بن عطاء الله الصنهاجى المعروف بابن العريف والمتوفى سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م من أهم المؤلفات الصوفية (١٣٢).

لقد وضع ابن العريف فى كتابه منهجا صوفيا، بأن وضع الأسس والقواعد التى تنظم حياة السالكين والمريدين الذين ينتسبون إلى التصوف ويحدد لهم فى

---

(١٣٠) المصدر السابق ،ص ٢٦٢.

(١٣١) ابن عربى : الفتوحات المكية ، حـ٤ ، ص١٠٥.

(١٣٢) المصدر السابق ، حـ ٢ ص٩٢.

الصفدى: الوافى بالوفيات، نشر محمد يوسف نجم، فيسبادن ١٩٧١، حـ٨ ، ص١٣٣.

حاجى خليفة : كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون، استانبول ١٩٤٣، حـ٢ ، ص١٦٠٩.

كتابه ما يكلفون به من واجبات وأعمال تعينهم على مجاهدة أهوائهم وتهذيب نفوسهم . ويهتم المنهج الصوفى عند ابن العريف بالجانب العملى من التصوف فهو يقول فى بداية كتابه إن الغرض من هذا المؤلف هو "أن يسهل على المريد صعوبة طريقه ويشيد للمريد دعائم صدقه وتحقيقه ويحمل سامعه على ارتكاب الأشد فى تحرى الأشد" (١٣٣) .

ثم يتناول ابن العريف فى كتابه الأحوال والمقامات(١٣٤)عند الصوفية فيتحدث عن الإرادة ، والتوبة ، والزهد ، والتوكل ، والصبر والحزن ، والخوف ، والرجاء ، والشكر والمحبة ، والشوق، والأنس(١٣٥) . وأخيرا يوضح ابن العريف ما يعطيه الله سبحانه وتعالى للعبد إذا أطاعه ولزم خدمته وسلك هذه الطريقة، بأن يكون أهلا لعطائه وفضله(١٣٦).

كما يعد كتاب "أنس الوحيد ونزهة المريد" للعارف بالله أبى مدين المتوفى عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٧من أهم كتب التصوف المغربى وهذا الكتاب موجه إلى المريد السالك لطريق التصوف ينبهه إلى قواعد السلوك التى ينبغى مراعاتها. والكتاب عبارة عن جمل ذات ألفاظ قليلة تتضمن المعانى الكثيرة (١٣٧) وليس بين جملها

---

(١٣٣) ابن العريف : محاسن المجالس، نشر اسين بلاسيوس ، باريس ١٩٣٣، ص٧.

(١٣٤) سميت الأحوال بهذا الإسم لأن الحال يتحول فهو يأتى وينصرف وليس بدائم. أما المقام فقدسمى بذلك لأنه يعنى: الاستقرار والدوام والثبات انظر : ياسين رشدى : التصوف ماله وما عليه ، نهضة مصر، القاهرة١٩٩٣، ص١٥٦.

(١٣٥) ابن العريف : مصدر سابق ، ص٩٧.

(١٣٦) المصدر السابق ، ص٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١.

(١٣٧) انظر : أحمد بن عبد القادر الذى قام بشرح حكم أبى مدين فى شرحه المسمى: البيان والمزيد المشتمل على معانى التنزيه وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة المريد ، القاهرة ١٢٩٧هـ .

ارتباط منطقى،كما لم يراع صاحبها ترتيبها بحسب موضوعاتها.وراعى أبـو مديـن فى أسلوبه اختيار الكلمات، بحيث تؤثـر فىنفـس سـامعها، وحكـم أبومديـن هـى خلاصة آرائه فى التصوف وهى تستوعب مذهبه الصوفـى بأسـره. ويوضـح أيضـا آداب السلوك العامـة التـى ينبغـى أن يراعيهـا السـالك فـــى مجاهداتـــه ومقاماتـــه وأحواله(١٣٨).

إن حكم أبى مدين حكم سنيه فهو يقول " لا طريق أوصل إلى الجنة إلا من متابعة الرسول فى أحكامه"(١٣٩) . على أية حـال فـإن هـذه الحكـم هـى ملخـص لمذهبه الصوفى ودستور للسالكين(١٤٠).

العامل السادس والأخير : هو انتشار الترف والبذخ فى أواخر عهد الدولـة المرابطية، وقد أثرت هـذه المظـاهر فـى مشـاعر الشـعب الدينيـة. فالفقهـاء حظـوا بالمناصب الرفيعة، وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلـك أموالهـم واتسـعت مكاسبهم وعاشوا فى بـذخ وتـرف(١٤١) . فضـلا عـن ذلـك فـإن إهمـال الكبـار والعامة على السواء لقواعد الدين والسلوك، والشراب علنا كانت كلها من الأمور التى لم يحتملها المتدينون المسلمون(١٤٢) . ففى عهد على بن يوسف المرابطى يخبرنا المراكشى عن أحـوال الدولـة قـائلا: " ظهـرت فـى بـلاده مناكـير كثـيرة، وذلـك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد ، كما استولت النساء على

---

(١٣٨) المصدر السابق ص٣، ١٠ ، ١١، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢، ٢٧، ٣٠ ، ٣٦، ٣٧ ، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٦٢، ٦٤.

(١٣٩) المصدر السابق ص٥٨.

(١٤٠) انظر : شرح حكم إلى مدين .

(١٤١) المراكشى : المعجب ، ص١٧١ .

(١٤٢) Bel: Op Cit , Tomel , P 342 .
Ibid, P 342 .

الأحوال واستتبت إليهن الأمور، وأمـير المسـلمين يتزايد تغافلـه وقنـع باسـم إمـرة المسلمين وعكف على العبادة وأهمل أمور الرعية غاية الإهمال"(١٤٣) أمـا المناكـير التى اشار إليها المراكشى ولاقت رفضا من المتدينين ، فهى أن الخمـر كـانت تبـاع علنا فى بعض منـاطق مراكـش، كمـا انتشـرت فيهـا حوانيـت بيـع آلات الطـرب واللهو (١٤٤) .

و لم يقتصر الأمر على العاصمة، ففى مدينة فـاس انتشـرت حوانيـت أدوات اللهـو مـن الدفـوف والمزامـير وغيرهـا(١٤٥) . وأخـيرا لم تـراع قواعـــد الحجــاب الإسلامية بين النساء حتى ولا بين نساء الأسرة الحاكمة ، فأخت الأمـير علـى بـن يوسف تسير سافرة على عادة قومها من الملثمين فى زى نسائهم (١٤٦) .

هكذا انتشر التصوف الوافد مــن المشرق فىبـلاد المغـرب الأقصـى ، وبـدأ المتصوفة المغاربة يلعبون دورا فى حياة المجتمـع ، وهـو مـا سـنفصله فـى صفحـات البحث التالية .

---

(١٤٣) المعجب ، ص ١٧٧.

(١٤٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، جـ ٢ ، ص ١٠٨.

(١٤٥) البيـذق : أخبـار المهـدى بـن تومـرت وابتـداء دولـة الموحديـن ، نشـــر ليفـى بروفنسال، باريس ١٩٢٨ ، ص٦٥.

(١٤٦) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوطة بالهيئـة المصريـة للكتـاب، رقم ١٥٨٤ تاريخ، جـ ٢٠، ق ٤، ورقة ٧٧٤.

ابن خلكان : وفيات الاعيان، جـ ٥، ص ٤٩.

ابن الاثير : الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٦٦، جـ ١٠، ص ٥٧٠، ٥٧١.

النويرى : مصدر سابق ، جـ ٢٤، ص ٢٧٩.

الفصل الثانى

المتصوفة والحياة السياسية

ودورهم فى الجهاد ضد الأسبان

١ - المتصوفة والسلطة السياسية .

٢ - دور المتصوفة السياسى

(المعارضة والشفاعة للرعية عند الحكام)

٣ - العزوف عن المشاركة فى المناصب الدينية للدولة .

٤ - المتصوفة والجهاد فى الأندلس ضد الأسبان .

(أ) معركة الأرك (٥٩١ هـ/ ١١٩٤م)

(ب) معركة العقاب (٦٠٩هـ / ١٢١٢م)



المتصوفة والسلطة السياسية

اضطربت علاقة الحكام بمتصوفة المغرب الأقصى، فتارة نجد للمتصوفة منزلة كبيرة لدى الحكام سواء أكانوا أمراء أو خلفاء، وتارة أخرى نجدهم يتعرضون للمضايقات والمتاعب حينا، وللسجن حينا . لذلك يمكن القول بأن العلاقة لم تكن حسنة باستمرار أو سيئة على الدوام .

فإذا شئنا النظر إلى محاسن تلك العلاقة، فسوف نجد ما يؤكد علاقة الود وارتفاع منزلة بعض المتصوفة فى نفوس الحكام، من الحرص على زيارتهم والتودد إليهم، والتقرب منهم لارتفاع مكانتهم بين عامة الشعب. فقد زار أمير المسلمين على بن يوسف (٥٠٠- ٥٣٧ هـ/ ١١٠٦ - ١١٤٣م) حين قدم من مراكش إلى أغمات كلا من الصوفى أبى محمد عبد الله المليجى - وهو رجراجى سكن مدينة أغمات وريكة وتوفى بها قبل عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م - والصوفى عبد الجليل بن ويحلان(١) - الدكالى نزيل أغمات وريكة وبها توفى عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م(٢) - وحرصا منه على نيل رضائهما بعث أمير المسلمين إلى كل واحد منهما بألف دينار رفضها عبد الله المليجى وردها إليه، أما الآخر فقد أخذ المال وتصدق به على المساكين(٣).

---

(١) التادلى : التشوف إلى رجال التصوف ، ص١٤٥.

العباس بن إبراهيم : الإعلام ، جـ٨ ، ص ١٩١ .

(٢) الصومعى : المعزى فى مناقب سيدى أبى يعزى ، مخطوطة ، ورقة ٩.

التادلى : مصدر سابق ، ص١٤٦.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، جـ٨ ، ص٢٩.

(٣) الصومعى : المعزى ، مخطوطة، ورقة ٩ .التادلى : مصدر سابق ، ص١٤٥.

كما وفد الصوفى أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبى الضرير - وأصله من سرقسطة(٤) وسكن مراكش وبها توفى عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م - على أمير المسلمين على بن يوسف ، فبعث إليه بمال كثير، ولم يخرج هذا الصوفى من مراكش إلى أغمات حتى وزع المال على الفقراء والمساكين(٥) .

وخرج أمير المسلمين على بن يوسف من مراكش، لزيارة الصوفى أبى الأمان الهسكورى الأسود المتوفى عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م . فلم يرد أبو الأمان أن يدخل إليه ، فخرج إليه من داره ، ولقيه فى الفحص وقعد معه ساعة ثم افترقا(٦).

كما زار أمير المسلمين تاشفين بن على (٥٣٧ - ٥٤١هـ/ ١١٤٣-١١٤٦م) الصوفى أبا زكريا يحيى بن محمد الجراوى من بلادتادلا(٧) ، فسلم عليه وخرج عنه(٨) ، وذلك حين خرج تاشفين من مراكش إلى وهران، لتعقب عبد المؤمن بن على عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م(٩) .

---

(٤) سرقسطة مدينة تقع فى شرق الأندلس وهى من قواعد الأندلس كبيرة القطر أهله لها أسوار منيعة وخيرات كثيرة.

انظر : الحميرى : مصدر سابق ، ص٣١٧.

(٥) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٠٥، ١٠٦ .

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ١٠، ص ٣٠٨.

(٦) التادلى : مصدر سابق ، ص١٥٢.

(٧) تادلا مدينة قديمة أزلية بنى الملثمون فيها حصنا منيعا كثيرة الخيرات أحاطت بها قبائل من كل جانب.

انظر : الحميرى : مصدر سابق ، ص١٢٧.

(٨) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٣٨ .

(٩) البيذق : أخبار المهدى بن تومرت ، ص٥٩.

وقد استغل هؤلاء المتصوفة علاقتهم الطيبة مع الحكام لرفع الظلم عن كاهل الرعية إذا وجد، وتبصيرهم بالعدل إذا حادوا عنه . يوضح ذلك أن الصوفى أبا العباس السبتى (٥٢٤-٦٠١هـ/ ١١٢٩- ١٢٠٤م) زاره أحد السلاطين فقام بنصحه قائلا له " كل ما أراد الله أن يفعله معك فافعله مع عبيده" (١٠) .

وإذا كان هناك بعض المتصوفة لم يجدوا غضاضة فى لقاء الحكام، مثلما عرضنا لذلك من قبل فإن منهم من كان ينهى عن ذلك ويرفض لقاءهم ويطالب بالبعد عن تملقهم . فنجد أن الصوفى أبا الفضل بن أحمد بن محمد السجلماسى المتوفى عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، طلبه السلطان للاجتماع به لكنه خاف على نفسه فاختفى منه فى بستان له(١١) .

والصوفى أبو يحيى أبو بكر بن ملوك الصنهاجى الأسود - من بلد دادس من بلاد القبلة(١٢) توفى عام ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م - قصده أحد الأمراء لزيارته، فسمع بذلك فكره الاجتماع به، وعاد الأمير بعد أن فشل فى الاجتماع به(١٣). ولم يكتف بعض هؤلاء المتصوفة بالنفور من لقاء الحكام ، بل بعضهم يرفض قبول هداياهم (١٤) .

---

(١٠) التادلى : مصدر سابق ، ص٤١٦.

المقرى : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص٢٧٠.

(١١) التادلى : مصدر سابق ، ص١٥٤.

(١٢) دادس المجرى الأعلى لوادى درعه انظر : هامش رقم ٢٨٨ لمحقق كتاب التشوف، ص٤١٢.

(١٣) التادلى : مصدر سابق ، ص٤١٣.

(١٤) المصدر السابق ، ص١٤٥.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن علاقة الود التى ربطت بين بعض المتصوفة والحكام ، بحرص الحكام على زيارتهم ، فإن بعض المتصوفة تعرضوا لمضايقات وإيذاءات الحكام، ويرجع ذلك لسعى بعض الفقهاء بهم عند السلاطين. ولأن شيوخ التصوف ومريديهم كانوا ملتزمين فى اقوالهم بالكتاب والسنة، ولم يوجد بينهم من مزج بين تصوفه والأفكار الأجنبية الدخيلة على الفكر الإسلامى ولان تصوفهم كان قائما على إيمان وعلم وتقوى وورع لذلك لم يجد الفقهاء سوى العمل على تخويف السلاطين منهم، بسبب التفاف الناس حولهم، وأنهم مصدر خطر على الدولة حسب أدعاءاتهم على هؤلاء المتصوفة. والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن الصوفى أبا العباس أحمد المعروف بابن العريف كان يقصده الناس وبألفه أهل الزهد، ويقصدونه فيحمدون صحبتة، لذلك سعى به إلى السلطان، والذى سعى به هو القاضى ابن أسود (١٥) الذى كان بالمرية(١٦) .

ووفد على السلطان على بن يوسف بمراكش، وخوفه منه غاية التخويف، فطلب السلطان بإشخاصه إلى مراكش، ولما وصل إلى سبتة وافاه رسول السلطان بالأمان وبتسريحه وحل قيوده، لأنه تأكد أنه برىء مما نسب إليه، وعندما وصل إلى مراكش أقبل عليه السلطان وأكرمه وأمره أن يعرض حوائجه فقال له : "ليس

---

(١٥) القاضى ابن اسود هو أبو بكر محمد بن إبراهيم الغسانى له رحلة إلى الشرق لقى فيها أبابكر الطرطوشى توفى فى نكبته بمراكش عام ٥٣٦هـ/١١٤١م .

ابن بشكوال : الصلة ، نشر السيد عزت العطار الحسينى ، القاهرة ١٩٥٥، حـ٢، ص٥٥٣.

ابن الآبار: المعجم فى اصحاب القاضى على الصدفى، بمجريط ١٨٨٥، ١٢٦، ١٢٧.

(١٦) المرية من قواعد الاندلس تقع فى جنوبة الغربى.

انظر : الادريسى : مصدر سابق، حـ ٢، ص ٥٦٢، ٥٦٣.

لى حاجة إلا أن تتركنى أذهب حيث شئت" فأذن لـه فـى ذلـك(١٧) ولمـارأى ابـن أسود ما حصل لابن العريف من الحظوة عند السلطان، احتال عليه ودس له السـم فيالطعام ، فلما علم السلطان بما كان من ابن أسود بعثه إلى السوس الأقصى(١٨). وأمر أن يسقى سماهناك فامتثل ما أمر به فمات(١٩) .

كما سعى بكل من أبى عبدا لله محمد بن عمر الأصم وهو من أكابر صوفية سجلماسة وتوفى عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م – وأبى عبدا لله الدقـاق وأضرابهمـا عنـد تاشفين بن على، فأمر بإشخاصهما إلى مدينة فاس فسجنا بهـا ثـم ظهـر للسـلطان براءتهما مما نسب إليهما فأطلق سراحهما(٢٠) .

كما سعى ببعض المتصوفة عند العمال ، فالصوفى تنفيت البرصجى الدكالى المتوفى قبل عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م سعى به عند عامل على بن يوسـف واغلـظ لـه العامل فى القول، وكان هذا الصوفى بريئا مما نسب إليه(٢١).

---

(١٧) التادلى : التشوف ، ص١١٩ ، ١٢٠

ابن الآبار : مصدر سابق ، ص١١٨ ، ١٢٠ .

الصفدى : مصدر سابق ، جـ ٨ ، ص١٣٣.

العماد الحنبلى : شذرات الذهب ،جـ٤ ،ص١١٢.

(١٨) السوس الأقصى فى أقصى بلاد المغرب وهو مدن كثيرة وبلاد واسعة يشقها نهـر يصب فى البحر المحيط يسمى ماست انظر:

الحميرى: مصدر سابق ، ص٣٣٠،٣٢٩.

(١٩) التادلى : مصدر سابق ، ص١٢٠.

العباس بن إبراهيم: الإعلام ،جـ٢،ص٥إلى ٧.

(٢٠) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٥٥ .

(٢١) المصدر السابق ، ص١٥١ .

وهناك من العمال مـن تعـرض للمتصوفـة بـالإيذاء ، بسبب الخـوف منهـم والتفاف الناس حولهم. فالصوفى أبو عبدا لله محمد بن موسى الأزكانى اسـتقر فـى صفرو(٢٢) ، واجتمع حوله جمـوع كثـيرة، فتـاب علـى يديـه مئـات مـن الرجـال وتسامع الناس به فجاوءه من كل مكان وكثروا . فسمع بذلك القائد ابن حسـون - وكان واليا على فاس - فخرج إليه فى جمع كثـير مـن الخيـل والرجـال يطلبـه، لكنه هرب و لم يستطع القائد المذكور القبض عليه(٢٣) .

وهذا و لم يكن المتصوفة بمعزل عن الأحداث السياسية فعـارضوا السياسـات الجائرة وكان لهم فى ذلك دور جدير بالذكر .

دور متصوفة المغرب الأقصى فى معارضة السياسات الجائرة

تذكر المصادر التاريخية بعض الوقفات الحاسمة لمتصوفة المغرب الأقصى، ضـد السلاطين وعمالهم وذلك لدفع ظلمهم وقراراتهم المتعسفة. فلم يخشـوا سـطوتهم، وأعلنوا ذلك صراحة وعلى الملأ فلا خوف إلا من ا لله سبحانه وتعالى. فـالصوفى أبو مهدى وين السلامة بن جلداسن الدكالى المتوفى عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م ، كان لا يخشى السلطان إذا تحدث، ولا يخشى أن يصل كلامه إليه، لأن الخوف مـن ا لله وليس من عبيده(٢٤) .

---

(٢٢) صفـرو تقـع علـى أميـال مـن مدينـــة فـــاس وهـــى علىالطريـــق مـــن فـــاس إلى سجلماسة.انظر : مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلـول عبـد الحميـد بغداد ١٩٨٦ ، ص١٩٣.

(٢٣) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣٦٥، ٣٦٦.

(٢٤) المصدر السابق ، ص٢٦٣.

كما وقف الصوفى أبو محمد عبد الله المليجى المتوفى قبل عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م معارضا موافقة أمير المسلمين على بن يوسف لفتوى فقهاء مراكش بإحراق كتاب " إحياء علوم الدين" للغزالى(٢٥). و لم يخش على بن يوسف ولا الفقهاء و لم يجرو السلطان أن يفعل معه شيئا لمنزلته، فقد كان من كبار صوفية المغرب الأقصى (٢٦) .

كما عارض الصوفى أبو الحسن على بن إسماعيل بن حرزهم الفاسى المتوفى عام ٥٥٩هـ/١١٦٣م، قرار أمير المسلمين على بن يوسف بطرح أبى الحكم بن برجان(٢٧) بعد موته على المزبلة ولا يصلى عليه، وعين أحد الفقهاء ليتكلم عنه(٢٨) . ويرجع سبب اتخاذ هذا القرار أن ابن برجان قد اشخصه الأمير على بن يوسف من قرطبة إلى مراكش ، وسئل عن مسائل عيبت عليه فاخرجها على ما تحتمله من التأويل ، ودعا على أمير المسلمين لأنه أشخصه ، لذلك أمر أمير المسلمين بما أمر به بعد وفاته. وحين علم ابن حرزهم من أحد مريده بما أمر به الأمير على بن يوسف فى شأن ابن برجان، غضب لهذا القرار الجائر وأمره أن ينادى فى أسواق مراكش وطرقاتها ، ويطلب من الرعية أن يحضروا جنازة الشيخ

---

(٢٥) المصدر السابق ، ص١٤٥.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، جـ ٨ ، ص١٩١.

(٢٦) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٤٥.

(٢٧) ابن برجان هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمى توفى سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م بمدينة مراكش كان عبدا صالحا له تفسير للقرآن العظيم .

انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٣٦.

العباس بن إبراهيم: مصدر سابق ، جـ٨ ، ص٤٧٣.

(٢٨) التادلى : مصدر سابق ، ص١٧٠.

الفاضل الفقيه الزاهد بن برجان ، ومن قدر على حضورها و لم يحضر لعنة الله عليه ولما بلغ على بن يوسف تحدى ابن حرزهم لقراره، رضح لرأى ابن حرزهم لارتفاع مكانته بين الحكام والرعية وأمر أن يصلوا على ابن برجان(٢٩) .

كما هرع جماعة من أهل أدار من بلد رجراجة، إلى أبى إبراهيم إسماعيل بن وجماتن المتوفى عام ٥٩٥هـ، ١١٩٨م ، فشكوا له جور العامل وانتهاكه حرمة الله، فغضب اشد الغضب و لم يسكت على هذا الجور، وانتهز فرصة صلاة الجمعة فى الجامع ، فلما انتهت الصلاة قام بعظة الحاضرين والعامل حاضر ، فتكلم فى حقه بكلام خاف منه الناس علىأنفسهم ، فخرجوا من المسجد كلهم، وخرج العامل أيضا وانتظر خارجه حتى خرج أبو إبراهيم فقبض عليه(٣٠).و لم يخش هذا الصوفى العامل ، وأغلظ له فى القول وهو حاضر معرضا نفسه للعقاب والحبس، حتى عرف العامل مكانته فتغافل عن أمره و لم يتعرض له بعد ذلك بشىء(٣١).

كما تصدى الصوفى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الهوارى المتوفى عام ٥٨١هـ/ ١١٨١م ، لجور عامل أغمات وريكة ، الذى كتب أحباس الجامع فى زمامه (٣٢) وهناك حالات أخرى عارض فيها رجال التصوف سياسة العمال الجائرين حين شكا الناس إليهم هذه السياسة (٣٣) .

---

(٢٩) المصدر السابق والصفحة .

ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، جـ٢ ، ص٤٦٤ إلى ص٤٦٦.

(٣٠) التادلى : مصدر سابق ، ص٣٥٤.

(٣١) المصدر السابق ، ص٣٥٥ ، ٣٥٦.

(٣٢) المصدر السابق ، ص٢٧٠. العباس بن إبراهيم: مصدر سابق ، جـ٤ ، ص١٢٠.

(٣٣) التادلى : مصدر سابق ، ص٤٢١.

وبالإضافة إلى معارضة المتصوفة السياسات الجائرة للسلاطين أو لعمالهم ، فقد استغلوا مكانتهم داخل مجتمع المغرب الأقصى وأسدوا إلى الناس الكثير من الخدمات حين وقفوا في وجه استبداد السلاطين وعمالهم، وتشفعوا لرعاياهم واستجيبت شفاعتهم .

دور المتصوفة فى الشفاعة للرعية عند الحكام :

قام المتصوفة فى هذا المجال بدور ملحوظ ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها تشفع الصوفى أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى الأزمورى المتوفى عام ٥٦١هـ/ ١١٦٥م، فى نساء على بن يوسف المرابطى ونساء أولاده عند الحاكم الموحدى عبد المؤمن بن على (٥٢٤-٥٥٨هـ / ١١٣٠ - ١١٦٣م)، وقبل عبد المؤمن شفاعته ، وأمر باطلاق سراحهم لارتفاع مكانته عند عبد المؤمن بن على(٣٤) . كما تشفع هذا الصوفى أيضا فى جماعة من أهل أزمور أراد الوالى قتلهم ، فعرف الوالى مكانته فخشيه وقبل شفاعته. ولذلك كان أهل أزمور يهرعون إليه لرد أى ابتلاء من قبل الوالى (٣٥).

كما تشفع ابو الأمان بن مشو الرفروفى - من بلد تادلا والمتوفى عام ٦١٥هـ / ١٢١٨م - لقوم أخذ منهم إسحاق بن يحيى من عمال الناصر الموحدى (٥٩٥ - ٦١١هـ/ ١١٩٩ - ١٢١٤م) دوابهم، حتى يدفعوا له مبلغ مائتى دينار، فشكو إلى أبى الأمان فكتب إلى العامل كتابا بالشفاعة لهم ، فقام العامل برد دوابهم(٣٦) .

---

(٣٤) الصومعى : المعزى ، مخطوطة ، ورقة ١٠، ١١.

(٣٥) التادلى : مصدر سابق ، ص١٨٨.

(٣٦) المصدر السابق ، ص٢٤٢.

وعلى أية حال فقد استجاب الحكام للكثير من الشفاعات التى قام بها المتصوفة بفضل المكانة الإجتماعية الكبيرة لهم ، والتى تمثلت فى التفاف الرعية حولهم وتقدير إياهم ولذلك كان غريبا أن يرفض هؤلاء المتصوفة تولى المناصب الدينية التى عرضت عليهم .

العزوف عن المشاركة فى المناصب الدينية للدولة :

جدير بالذكر أن متصوفة المغرب الأقصى فى الفترة الزمنية للدراسة ، قد عزفوا عن المشاركة فى المناصب الدينية، حين رفضوا تولى منصب القضاء، ومنصب الحسبة، ويعد منصب القضاء من الوظائف الهامة فى الدولة الإسلامية، لأنه يفصل فى المنازعات حسب الأحكام الشرعية التى يستمدها من الكتاب والسنة .

وإذا كان الصلاح وشدة الورع والخوف من الله تعالى أهم سمات من يتولى منصب القضاء ، فإن هذه السمات كانت تسمح لمعظم متصوفة المغرب الأقصى بأن يرشحوا لتولى هذا المنصب. وكانت سلطة تعيين قضاة المدن فى يد سلطة قاضى القضاة ومقره مراكش ، يوضح ذلك أن قاضى القضاة أبا يوسف حجاج بن يوسف التجيبى قد رشح الصوفى أبا محمد عبد العزيز بن محمد الباغاتى لمنصب قضاء مدينة أغمات(٣٧). وأتباعا لسياسة الزهد فى الدنيا ومناصبها ، وخوفا من تبعات المنصب أمام الله

(٣٧) التادلى : مصدر سابق ، ص٢٠٥.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ١ ، ص ٤٠١.

عز وجل ، ذهب هذا الصوفى إلى مراكش، وطلب من قاضى القضاة أن يعفيه من ولاية القضاء. لكن قاضى القضاة تمسك به لفضله وورعه، لكنه صمم على موقفه فى رفض تولى خطة القضاء، وقال له: " والله لو نشرت بالمنشار من قرنى إلى قدمى ما قبلت هذه الولاية" إزاء هذا الموقف قام قاض القضاة بإعفاءه من هذه الولاية(٣٨).

ومن المناصب الدينية التى عزف المتصوفة أيضا عن توليها وظيفة الحسبةوهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين . وهدفها حماية الرعايا من الغش والتدليس والاستغلال وحماية الآداب العامة. ولصاحبها النظر والحكم فى آن واحد وهى بذلك خادمة لمنصب القضاء(٣٩) ومندرجة تحت مسئوليات القاضى الذى يقوم بتعيين المحتسب. فالقاضى أبو يوسف حجاج بن يوسف بعث إلى أبى عبد الملك مروان اللمتونى العابد المتوفى عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م ، أن يصل إليه من مدينة فاس، ليقدمه على وظيفة الحسبة بمدينة مراكش(٤٠) لكنه رفض أن يتولى خطة الحسبة لرغبته فى سلوك طريق التصوف(٤١) .

---

(٣٨) التادلى : مصدر سابق ، ٢٠٥.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٨ ، ص ٤٠١.

(٣٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧.

(٤٠) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٣٨ .

ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، جـ١ ، ص ٣٣٤.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٤١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٣٨.

وكانت هناك محاولة لإكراه الصوفى أبى يعقـوب يوسـف بـن علـى المـؤذن المتوفى عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م . على ولاية الحسبة فى مدينة داى من بـلاد تـادلا، لما شهر به من صلاح وورع وكثرة البكاء والاجتهاد والعبـادة ، لكـه رفـض هـذه الولاية وأعفى منها (٤٢) .

لقد كان موقف هؤلاء المتصوفة بعدم المشاركة فـى شغل المنـاصب الدينيـة موقفا سلبيا. فلو تولوا هذه المناصب لأسدوا للرعايا الكثير من الخدمـات لورعهـم وتقواهم ، لكنهم أثروا البعد ورفضوا تولى هذه المناصب ، خوفا مـن الوقـوع فـى النفاق ، وفقدان القدرة عل قول الحق ومعارضة الباطل. كمـا أنهـم نظـروا إلى أن هذه المناصب يتكالب عليها طـلاب الدنيـا، والأجـدر باصحـاب الذكـر والطريـق الابتعاد عنها . كما ان رفض تولى هذه المناصب يعد حرصـا علـى عـدم إقامـة أى علاقة مع السلطة بإيثار الابتعاد عنها . وإذا كانوا قد رفضوا المشـاركة فـى شئون الحكم فقد شاركوا فى حملات الجهاد ضد الإسبان .

المتصوفة والمشاركة فى الجهاد ضد الأسبان :

شارك متصوفة المغرب الأقصى فى أهم أحداث عصرهم العسكرية حين عبروا إلى الأندلس للجهاد ضد الأسبان . ولأن تصوفهم كان قائما على الكتاب والسنة، فقد اقبلوا على تلاوة القرآن الكريم والتأمل والتدبر فـى معانيـه، والعمـل بـه فلبـوا نداء الجهاد رغبة فى الفوز بالشهادة ونعيم الآخرة واستجابة لقولـه تعـالى:﴿ياأيهـا الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنـون بـا لله ورسـوله وتجاهدون فى سبيل ا لله بأموالكم وأنفسكم،ذلكم خير لكم إن كنتم تعملون، يغفر

---

(٤٢) المصدر السابق ، ص١٦٨.

لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾ (٤٣) ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل قائلا: دلنى على عمل يعدل الجهاد، فقال : لأجد(٤٤) . لذلك شارك المتصوفة فى معركتين من أهم معارك الجهاد فى بلاد الأندلس وهما معركتا الأرك والعقاب.

أولاً : معركة الأرك :

وتعد معركة الأرك Alarc (٤٥) التى دارت رحاها فى التاسع من شعبان سنة ٥٩١هـ الثامن من شهر يولية ١١٩٤م ، من المعارك الحاسمة فى تاريخ الإسلام فى الأندلس وهى معركة شارك فيها متصوفة المغرب الأقصى مع المتطوعين، فى عهد يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ - ١١٩٩م) .

أما الظروف التى أملت على يعقوب المنصور العبور إلى الأندلس للمرة الثانية(٤٦) ، توالى كتب مسلمى الأندلس ، وقادة الثغور فيه باشتداد الضغط

---

(٤٣) سورة الصف ، الآيات ١٠، ١٣.

(٤٤) البخارى : صحيحه ، دار الجيل بيروت ، جـ ٤ ، ص١٨.

(٤٥) الأرك هو أسم سهل واسع وراء جبل الشارت وكانت هذه الجبال قد غدت على عهد الموحدين حاجزا بين الأندلس المسلمة ودولة قشتالة النصرانية وبجوار سهل الأرك قامت قلعة رباح الشهيرة . انظر : مجهول : الحلل الموشية، هامش رقم ٥، ص١٥٩.

(٤٦) عبر يعقوب المنصور إلى الأندلس فى غزوته الأولى سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م بعد سقوط شلب فى يد بيدرويين هنريكنر ملك البرتغال وكانت من أكبر موانى غرب الاندلس. وخرج يعقوب المنصور وحقق الانتصارات واستعاد شلب وعدداً آخر من الحصون سنة ٥٨٧ هـ/ ١١٩١م ثم شغلته شواغل أخرى وألم به مرض فعقد مع النصارى صلحا لمدة خمس سنوات .

انظر : المراكشى : المعجب ، ص٢٨٠، ابن خلدون : العبر ، جـ٦ ، ص٥١١، ٥١٢.

النصرانى وثقل وطأتـه بتفـاقم غاراتـه . فقـد بعـث ألفونسـو الثـامن ملـك قشـتالة بجيوشه فى حملة تخريبية إلى أراضى الأندلس ، عـاثت فيهـا اشـد عبـث واسـتولت على كثير من الغنائم ، ناقضا بذلك الهدنة التى كانت معقودة بينه وبين الموحديـن. فرفعت هذه المخاطبات والأنباء كلها إلى المنصور، فـرأى أن تعـد العـدة للسـير إلى الأندلس(٤٧). خاصة أن الفونسـو الثـامن ملـك قشـتالة أرسـل كتابـا إلى يعقـوب المنصور يستنفره فيه للقتال (٤٨) .

واقبلت الحشود مـن كـل صـوب وكـانت رغبـة المجـاهدين فـى العبـور إلى الأندلس كبيرة وخصوصا المتطوعة من فقهاء المغـرب وصلحائـه مـن الصوفيـة(٤٩) الذين أسهموا فى هذه المعركة الحاسمة التـى ثبتـت حـدود الإسـلام فـى الأندلـس. والتى عقد فيها يعقوب المنصـور للحـاج الصـالح أبـى خـرز يخلـف الأوربـى علـى المتطوعة(٥٠)، وكانت رايتهم خضراء(٥١). كما يمدنا التادلى بترجمـة لأحـد شـيوخ

- ابن عذارى:البيان المغرب ، قسم الموحدين،الدار البيضاء ١٩٨٥،ص٢٠٣، إلى ٢٠٦.

محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين فى المغـرب والأندلـس ، القسـم الثانى عصر الموحدين ، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٠ ، ص١٩٧.

(٤٧) المراكشى : مصدر سابق، ص٢٨٢ .

ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص٢٢٠ .

النويرى : مصدر سابق ، جـ ٢٤ ، ص٣٣٣ ، ٣٣٤.

(٤٨) ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص٢٢٠ . انظر نص الرســالة فـى نفـس المصـدر ص٢٢١.

(٤٩) المصدر السابق ، ص٢٢٢.

(٥٠) المصدر السابق ، ص٢٢٥.

(٥١) المصدر السابق ، ص٢٢٦.

التصوف الذين شاركوا فى هذه المعركة، وهو أبو محمد عبد الواحد بن تومرت المسكورى الأسود.وهو رجل صالح لايفتر عن ذكر ا لله،توجه مع جيوش المسلمين إلى جزيرة الأندلس ، وشارك فى معركة الأرك حتى استشهد فى سبيل ا لله(٥٢) .

وإذا كان ابن أبى زرع قد اشار إلى أن أحد المتصرفة قد تولى قيادة جيش المتطوعة، والتادلى قد أمدنا بترجمة لأحد شيوخ التصوف الذى شارك فى غزوة الأرك. فإننا نعتقد أن هناك أعدادا كبيرة من الصوفية قد خرجوا للجهاد فى الأندلس. إذ يقول المراكشى أن أمير المؤمنين أبا يعقوب المنصور اعتمد فى جيشه على أعداد كبيرة من المتطوعين من الصالحين(٥٣)، كما نعتقد أن هناك الآلاف من المريدين قد خرجوا للجهاد مع شيوخهم اقتداء بهم .

والتقى المسلمون مع القشتاليين شمالى قرطبة عند قلعة رباح واقتتلوا قتالا عظيما وكانت الحرب فى اولها على المسلمين، ثم انجلت عن انتصار ساحق للمسلمين ، وأنزل ا لله نصره على الموحدين واستولوا على ما حول طليطلة من الحصون . ثم عاد يعقوب المنصور إلى اشبيلية منصورا(٥٤) وكانت معركة الأرك بدون شك آخر معركة عظمى حقق فيها المسلمون انتصارا حاسما على الأسبان.

---

(٥٢) التشوف إلى رجال التصوف ، ص ٣٥٩.

(٥٣) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص٢٨٢.

(٥٤) المصدرالسابق ، ص٢٨٢ ، ٢٨٣.

ابن عذارى : البيان ،قسم الموحدين ، ص٢١٨، ٢٢١.

ابن خلدون : العبر ، حـ ٦ ، ص ٥١٢، ٥١٣.

النويرى : مصدر سابق، حـ ٢٤، ص٣٣٣، ٣٣٤.

ثانيا : معركة العقاب :

ومن معارك الجهاد الأخرى التى شارك فيها متصوفة المغرب الأقصى، معركة العقاب(٥٥). التى وقعت فى الخامس عشر من صفرسنة ٦٠٩هـ/ السابع عشر من يوليو سنة ١٢١٢م، فى خلافة ابى محمد عبد الله الناصر(٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٩ - ١٢١٣م) .

وترجع أسباب تلك المعركة إلى استئناف الأسبان لغزواتهم المخربة فى أراضى الأندلس ، منتهزين انشغال الخليفة الموحدى الناصر منذ ارتقائه العرش بحوادث أفريقية ، واستيلاء بنى غانية على قواعدها وثغورها. والعمل على تحريرها عن سير الحوادث فى الأندلس(٥٦) .

ولما اقترب أجل انتهاء الهدنة بين قشتالة والموحدين التى وقعها يعقوب المنصور، أخذ ملك قشتالة ألفونسو الثامن يتأهب لغزو الأندلس، للانتقام لهزيمته فى معركة الأرك. فخرج من قشتالة فى قواته عام ٦٠٥هـ/ ١٢٠٩م صوب جيان وخرب واستولى على عدة حصون ، وأصاب المسلمين من جراء ذلك محن وخسائر فادحة وخرج فى العام التالى سنة ٦٠٦هـ/١٢١٠م، ووصل فى عبثه إلى ولاية مرسية، ثم عاد إلى طليطلة مثقلا بالغنائم(٥٧) .

---

(٥٥) العقاب حصن يقع فوق قمة أحد جبال الشارات التى تفصل بين الأندلس وأسبانيا النصرانية وهو يحتل أعلى قمة فى الجبل انظر : محمد عبدالله عنان، دول الإسلام فى الأندلس، العصر الثالث ، ص٣٠٢.

(٥٦) المراكشى : مصدر سابق ، ص٣١٧، ٣١٨ .

ابن عذارى : البيان قسم الموحدين ، ص٢٣٨إلى ٢٤٥.

ابن خلدون : مصدر سابق ، حـ٦ ، ص٥١٧ إلى ٥٢٠.

(٥٧) المراكشى:مصدر سابق،ص٣١٨. محمد عبد الله عنان، مرجع سابق ، ص٢٨٤.

وأمام عجز القوات الموحدية الصغيرة فى صد تلك الجيوش الأسبانية الغازية، كان لا بد أن يعبر أمير المؤمنين بنفسه فى جيوشه الجرارة إلى شبه الجزيرة، ليقود بنفسه الجيوش الإسلامية مثلما فعل أبوه وجده. وهكذا استجاب الناصر لداعى الجهاد وأخذ فى الاستعداد ونفذت كتبه إلى سائر أنحاء المغرب وأفريقية وبلاد القبلة باستنفار الناس للجهاد، فاستجابت سائر الجهات والقبائل للدعوة(٥٨) .

وانضم متصوفة المغرب الأقصى إلى الجيش الذى عبر إلى الأندلس، فقد حفظت لنا كتب الطبقات ترجمة لشيخ من صوفية المغرب الأقصى، انضم إلى الجيش الموحدى، وهو أبو الصبر ايوب بن عبدالله الفهرى وهو من شيوخ التصوف من أهل سبتة قدم مراكش وصحب ابا يعزى وأبا مدين وابن غالب ورحل إلى المشرق فلقى العلماء والفضلاء واستشهد فى وقعة العقاب عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م(٥٩) . وهذا يعنى أن هناك الكثير من متصوفة المغرب الأقصى قد شاركوا فى وقعة العقاب مع المتطوعين للجهاد فى الأندلس .

خرج الناصر فى قواته من مراكش عام ٦٠٧هـ/ ١٢١١م إلى الأندلس بعد أن أعد جيشا ضخما لمحاربة الأسبان لكنه تعرض بجيشه لهزيمة كبيرة، بعد أن داهمهم الأسبان وهم على غير أهبة سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م(٦٠) وقتل من جيشه

---

(٥٨) المراكشى : مصدر سابق ، ص٣٢١.

(٥٩) التادلى: مصدر سابق ، ص٤١٥ .

ابن القاضى:مصدر سابق، حـ ٢ ، ص١٦٨.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، حـ٣ ، ص٧١،٧٢.

(٦٠) ترجع أسباب الهزيمة إلى انفصال الأندلسيين عن الجيش الإسلامى بسبب موقف وزير الناصر ابن جامع منهم وعدم ثبات البربر والعرب وتأخر عطاء جيش الموحدين كثيرا و تماسك جيوش النصارى.

انظر : إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

خلق كثير، وثبت محمد الناصر ثباتا لم ير من ملك قبله، ولـولا ذلـك لاستؤصلت تلك الجموع(٦١) .

هكذا شارك متصوفة المغرب الأقصى فى احداث عصرهم السياسـية ، كمـا شاركوا بإيجابية فى أحداثه العسكرية . ويرجع ذلك لارتفاع مكانتهم الإجتماعيـة داخل مجتمعهم .

---

(٦١) المراكشى : مصدر سابق ، ص٣٢١.

ابن عذارى : البيان قسم الموحدين ، ص٢٥٨ إلى ٢٦٣.

النويرى : مصدر سابق، حـ٢٤، ص٣٤٢.

الفصل الثالث

المتصوفة والمجتمع

١ – انتشار التصوف فى كل أنحاء المغرب الأقصى المختلفة.

٢ – التصوف وانتشاره بين أفراد من معظم القبائل البربرية والعربية.

٣ – الطبقات التى سلكت طريق التصوف.

٤ – النساء والتصوف.

٥ – عائلات صوفية.

٦ – الدور الاجتماعى للمتصوفة.

٧ – المتصوفة والقيم الاجتماعية.

٨ – مكانة المتصوفة الاجتماعية داخل المجتمع.

انتشار التصوف فى كل أنحاء المغرب الأقصى المختلفة :

انتشر صوفية المغرب الأقصى فى كل أرجائه فى شماله، ووسطه وجنوبه. ففى شماله الذى يشمل المنطقة الممتدة من مدينة سبتة حتى وادى سيبو، استقروا فى مدن سبتة(١)، وطنجة(٢)، ومنطقة جبل الريف(٣)، وقصر كتامة(٤)، وفاس(٥)، ومكناسة(٦). وفى وسطه الذى يشمل المنطقة الواقعة بين نهرى ابى رقراق وأم الربيع، سكنوا فى سلا(٧)، وتامسنا(٨)، وتادلا(٩)، وأزمور(١٠). أما المنطقة الجنوبية من المغرب الأقصى التى تقع جنوب وادى أم الربيع، فانتشروا فى

---

(١) التادلى : مصدر سابق ، ص٢٧١، ص ٤١٥.

ابن الموقت : السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، فاس ١٩١٨، ص٢ - ١٢.

(٢) التادلى : مصدر سابق ، ص١١٨، ص٤٣٢.

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٨، ٤١٦.

(٥) المصدر السابق ، ص٩٤، ١٠١، ١٦٨، ١٧٧، ٢٧٢.

الكتانى: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء مدينة فاس، فاس ١٨٩٩، حـ٣، ص٧١، ١١٠، ١٦٢.

(٦) التادلى : مصدر سابق ، ص٣١٦.

(٧) المصدر السابق، ص١٦٥، ١٨٤، ٢١١.

(٨) المصدر السابق، ص٣١١، ٤٠٧.

(٩) المصدر السابق، ص١٠٨، ١٣٢، ١٣٥، ١٥٨. الكتانى : مصدر سابق، حـ٣، ص١٥٣.

(١٠) التادلى : مصدر سابق، ص١٤٤، ١٨٣، ١٨٧، ٢٠٩.

ابن الموقت : مرجع سابق ، حـ١، ص١٣١.

أقاليم هسكورة[١١]، ورجراجه[١٢]، وحاحة[١٣]، ودكالة[١٤] وهزرجة[١٥]. كما سكن بعضهم فى مدن مراكش[١٦]، وأغمات[١٧]، وسجلماسة[١٨]، ودرعة[١٩]. وانسا[٢٠]، وتارودانت[٢١]، ومنطقة دادس فى بلاد القبلة[٢٢]، واستقر بعضهم بجبل تينمل[٢٣] .

---

(١١) التادلى : مصدر سابق ، ص١١٣، ١٥٢، ٢٩١، ٢٩٢.

(١٢) المصدر السابق ، ص٨٦، ١١٣، ١١٥، ١٢٥، ١٤٥.

ابن المؤقت: مرجع سابق ، حـ٢، ص٦٣.

(١٣) التادلى : مصدر سابق، ص٢٨٢.

(١٤) المصدر السابق، ص١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٦، ١٥٠.

ابن المؤقت: مرجع سابق، حـ٢، ص٦٣، ٦٥.

(١٥) التادلى : مصدر سابق، ص٢٢٥.

(١٦) المصدر السابق ، ص١٠٥، ١٦٤، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٨ ص٢٨٩، ٢٩٥، ٣٠٣.

ابن المؤقت: مرجع سابق ، حـ١، ١٣١ ، ١٣٢، ١٣٣، حـ٢، ص١٤، ١١٩، ١١٤.

(١٧) التادلى: مصدر سابق ، ص ٨٣، ٩٢، ١٥٣، ١٦٢، ١٩٣، ٢٠٥، ٢١٥، ٣٠٢.

ابن المؤقت: مرجع سابق، حـ١، ص٦٢، ٦٠، ٦٥.

(١٨) التادلى : مصدر سابق، ص١٤٠، ١٥٥، ١٥٦.

الكتانى : مصدر سابق، حـ ٣، ١٠٢ ، ١٢٦.

(١٩) التادلى : مصدر سابق، ص٤٠٨، ٤١٠، ٤١١.

(٢٠) المصدر السابق، ص٣٤٢.

(٢١) المصدر السابق، ص٢٨٣، ٣٤٧.

(٢٢) المصدر السابق، ص٤١٣.

(٢٣) المصدر السابق، ص٣٣٧.

وبنظره على هذا الانتشار الكبير لشيوخ التصوف فى المغرب الأقصى فى الفترة الزمنية للدراسة، نجد أنه شمل بيئات وانحاء المغرب فانتشر التصوف فى المناطق السهليةمثل سهول تامسنا ودكالة، وحاحة، والسوس الأقصى. وفى المدن الساحلية مثل سبتة، وطنجة، وسلا، وأزمور. وفى المدن الكبرى الحضرية مثل فاس، ومراكش. وفى البوادى والمناطق الرعوية فى درعة، وسجلماسة، ولمطة، وبلاد القبلة التى تقع جنوب درعة وفى المناطق الجبلية فى جبال الريف وجبل دمنات فى إقليم هسكورة، وجبل تينمل من جبال الأطلس . ومن هذا يتضح لنا بعد استعراض تراجم مائتين وخمسين من شيوخ التصوف الذين استقروا فى المغرب الأقصى أن ظاهرة التصوف لم ترتبط بمنطقة جغرافية معينة.

وجدير بالذكر أن كتب الطبقات والتراجم قد أمدتنا بمعلومات تفيد فى تحديد أماكن استقرار مائتين وثمانية وثلاثين متصوفا منهم مائتان وعشرة متصوفا ولدوا فى المغرب الأقصى واستقروا فيه، ومنهم ثمانية وعشرون متصوفا من المهاجرين الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى واستقروا فيه، كما أن هناك اثنا عشرة ترجمة لم نستطيع تحديد مكان الميلاد، ومكان الاستقرار. وتوضح الجداول الآتية أماكن استقرار مائتين وثمانية وثلاثين متصوفا داخل المغرب الأقصى سواء ولدوا فيه أو هاجروا إليه خلال فترة البحث وتم تقسيم المتصوفة إلى ثلاث مجموعات حسب مناطق استقرارهم.

أولا : مجموعة شمال المغرب الأقصى :

المدينة	عدد المتصوفة	عدد المغاربة	عدد المهاجرين
سبتة	٦	٦	
طنجة	٢	٢	
ورغة	١	١	
غمارة	١	١	
قصر كتامة	٣	١	٢
فاس	٢٠	١٥	٥
مكناس	٣	٣	
المجموع	**٣٦**	**٢٩**	**٧**

ثانيا : مجموعة الوسط :

المدينة	عدد المتصوفة	عدد المغاربة	عدد المهاجرين
سلا	٥	٥	
تامسنا	٤	٤	
تادلا	٢٣	٢٣	
ازمور	١٣	١٣	
المجموع	**٤٥**	**٤٥**	**—**

ثالثا: مجموعة الجنوب :

المدينة أو المنطقة	عدد المتصوفة	عدد المغاربة	عدد المهاجرين
هسكورة	١٥	١٥	—
دكالة	٢٦	٢٦	—
رجراجة	١٣	١٢	١
حاحة	١	١	—
هزرجه	١	١	—
هزميرة	٢	٢	—
مراكش	٤٩	٣٨	١١
اغمات	٢٢	١٥	٧
تينمل	١	١	—
نفيس	٢	٢	—
صوده	١	١	—
انسا	١	١	—
تارودانت	١	١	—
"السوس الأقصى"			
سجلماسة	١٦	١٤	٢
درعة	٣	٣	—
لمطة	٢	٢	—
بلاد القبلة	١	١	—
المجموع	**١٥٧**	**١٣٦**	**٢١**

كما توضح الجداول الآتية المناطق التى هاجر منها ثمانية وعشرون متصوفا إلى المغرب الأقصى ، والمناطق التى استقروا فيها بعد الهجرة. وقد وفدوا من المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والأندلس.

أولا : المتصوفة الذين قدموا من المغرب الأدنى :

المدينة التى هاجروا منها	العدد	المدينة التىاستقروا فيها
القيروان	١	اغمات وربكه
تونس	٣	استقر اثنين فى اغمات وربكة واستقر الآخر فى مراكش
صفاقس	٣	اغمات وربكة
توزر	١	سجلماسة
المجموع	٨	

ثانيا : المتصوفة الذين قدموا من المغرب الأوسط :

المدينة التى هاجروا منها	العدد	المدينة التىاستقروا فيها
تلمسان	٣	فاس مراكش سجلماسة
بنى حماد	١	فاس
بجاية	٢	مراكش رجراجة
المجموع	٦	

ثالثا : متصوفة الأندلس الذين استقروا فى المغرب الأقصى :

المدينة التى هاجروا منها	العدد	المدينة التىاستقروا فيها
اشبيلية	٢	مراكش
سرقسطة	١	مراكش
غرناطة	١	مراكش
شرس	١	مراكش
لبله	١	مراكش
شلب	٢	قصر كتامة وفاس
بلنسية	١	فاس
الأندلس	٥	قصر كتامة فاس واغمات وعدد ٢ فى مراكش
المجموع	**١٤**	

إذا كان التصوف قد شمل كل البيئات والانحـاء فـى المغـرب الأقصـى، فـإن صوفيته أيضا انتسبوا إلى أغلب القبـائل التـى سـكنته، سـواء أكـانت قبـائل بترية أوبرنسية(٢٤) أو قبائل عربيـة. ممـا يعنـى أن التصـوف لم يكـن مرتبطـا بقبيلـة دون

(٢٤) عن القبائل البترية والبرنسية انظر: ابن خلدون : العبر حـ٦، ص١٦٧، من ص٢٢٩ إلى ص٢٣٦، ص٢٦٢ .

ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٣، ص٤٩٥.

أخرى. أما القبائل البترية التى انتشر التصوف بين أفرادها فهناك قبيلة زناتة(٢٥)، وجراوة(٢٦)، وهى بطن لقبيلة زناتة(٢٧). كما انتسب إلى طريق التصوف أفراد من مطغرة، ومغيلة(٢٨)، ومطماطه(٢٩).

أما القبائل البرنسية التى انتمى أفرادها إلى طريق التصوف فهناك المجموعة الصنهاجية التى تضم صنهاجة(٣٠)، ولمطة(٣١)، وجزولة(٣٢). أما شعب المصامدة فهناك العديد من قبائله التى انضوى أفراد منها فى سلك التصوف، كقبيلة هسكورة التى تقطن إقليم هسكورة(٣٣)، وآصاده(٣٤) التى استوطنت شمال بلاد السوس الأقصى(٣٥)، كما استقروا فى إقليم حاحة(٣٦) الذى سكنه

---

(٢٥) التادلى : مصدر سابق، ص١٩٢، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣٩٥.

(٢٦) التادلى : مصدر سابق ، ص١٥٨، ٢٣٩، ٢٤٩ - الكتانى: مصدر سابق، حـ٣، ص٣٦٤.

(٢٧) ابن حزم : مصدر سابق، ص ٤٩٦.

(٢٨) التادلى : مصدر سابق، ص٣٨٤ ، ص ٣٠٢.

(٢٩) المصدر السابق ، ص٤٠٧.

(٣٠) المصدر السابق، صفحات ١١٨، ١٢٣، ٢٠٩، ٢٣٣، ٣٠٧، ٣١١.

الكتانى: مصدر سابق، حـ٢، ص٢١٨ - السلاوى: الاستقصا، حـ٢، ٦٨، ص١٨٤.

(٣١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣٤٤.

(٣٢) المصدر السابق، ص٢٧٧ ، ٢٨٩، ٣٢٧.

(٣٣) المصدر السابق ، ص١٣٣ ، ١٥٢ ، ٢٩١ .

ابن المؤقت : مرجع سابق ، حـ١ ، ص٣٨ .

(٣٤) التادلى: مصدر سابق، ص١٩٤، ٢٦٦.

(٣٥) ابن خلدون : العبر، حـ٦، ص٤٦١.

(٣٦) التادلى : مصدر سابق ، ٢٨٢.

المصامدة(٣٧)، واستقروا فى إقليم دكالة(٣٨) موطن المصامدة(٣٩) وانتشر التصوف أيضا بين أفراد قبيلة هزرجه(٤٠) التى استوطنت بالقرب من أغمات(٤١) وقبيلة هزميرة(٤٢)، التى استقرت بالقرب من مراكش(٤٣) .كما انتشر التصوف بين أفراد من قبائل هوارة(٤٤) ، وأوربة(٤٥) ، وفند لاوة(٤٦).

ولم يقتصر التصوف على القبائل البربرية التى استوطنت فى المغرب الأقصى، إذ نجد أفراد ينتسبون إلى القبائل العربية التى سكنت المغرب الأقصى، منذ أيام الفتح يسلك بعض أفرادها طريق التصوف. فمن قراءة لأسماء هؤلاء المتصوفة يتضح انتسابهم إلى قبائل عربية، فالى قبيلة قريش انتسب عدد من الصوفية منهم أبو الحسن على بن خلف بن غالب القرشي المتوفى عام ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م(٤٧)، وأبو سهل القرشى(٤٨)، وأبو الحسن عبد الله بن عبد الملك البيانى القرشى(٤٩).

---

(٣٧) ابن سعيد : الجغرفيا: تحقيق إسماعيل العربى، بيروت ١٩٧٠. ص١٢٥.

(٣٨) التادلى : مصدر سابق ، ص٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٦، ١٥٠.

(٣٩) ابن خلدون : مصدر سابق، حـ٦، ص٤٦١.

(٤٠) ابن الموقت : مرجع سابق، حـ١، ص١٢٤.

(٤١) الأدريسى: نزهة المشتاق، حـ١، ص٢٣٦.

(٤٢) التادلى : مصدر سابق ، ص٢٣٣.

(٤٣) المراكشى : المعجب، ص٣٤١.

(٤٤) ابن الموقت : مرجع سابق، حـ١، ص٢٦٥ حـ٢، ص١١٦.

(٤٥) التادلى : مصدر سابق ، ص١٧٧.

(٤٦) المصدر السابق : ص٣٣٥، ابن الموقت: مرجع سابق ، حـ١ ، ص٧١.

(٤٧) المصدر السابق، ص٢٢٨، السلاوى: الاستقصا، حـ٢، ص١٨٧ .
ابن القاضى: مصدر سابق، حـ٢ ، ص٤٦٨.

(٤٨) التادلى : مصدر سابق ، ص٢٠٨ .

(٤٩) المصدر السابق ، ص٢٣٦.

ومن قبيلة جذام الصوفى أبو عبد الله محمد بن شعيب الجذامى المتوفى عام٦٠٤هـ /١٢٠٧م(٥٠) ومن الفهريين أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهرى المتوفى عام ٦٠٩هـ /١٢١٣م(٥١).

ومن المدينة المنورة هناك أبو الحسن بن محمد الانصارى المتوفى عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م(٥٢)، وأحمد بن خالص الانصارى المتوفى قبل عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م. (٥٣) وأبو يعقوب الحكيم يوسف بن أحمد بن الحسن الأنصارى المتوفى عام ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م(٥٤). ومن اللخميين هناك أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمى(٥٥).

على أية حال لقد انضوى فى سلك التصوف أفراد انتسبوا إلى المجموعات القبلية البربرية بالإضافة إلى القبائل العربية.

وهناك سؤال يطرح نفسه هل يمكن عقد مقارنة بين أعداد متصوفة المغرب الأقصىالذين عاشوا فى العصر المرابطى، والذين عاشوا فى العصر الموحدى؟ من الصعب الإجابة على هذا السؤال لتوالى العصرين فعام ٥٤١هـ /١١٤٦م هو عام سقوط دولة المرابطين وقيام دوله الموحدين. كما أن هناك أعداداً من المتصوفة

---

(٥٠) المصدر السابق ، ص٣٩٨.

(٥١) المصدر السابق ، ص٤١٥، ابن قنفذ : انس الفقير، ص٣٢ .

ابن القاضى : مصدر سابق ، ص١٦٨ .

(٥٢) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٧٧ ، ابن بشكوال : صلة الصلة، حـ١، ص٢٠٠.

- ابن المؤقت : مرجع سابق، حـ١، ص١١٨.

(٥٣) التادلى : مصدر سابق، ص٤١١. ابن المؤقت: مرجع سابق، حـ١، ص١٣٠.

(٥٤) المصدر السابق ص ٤٠٤، العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، حـ١٠، ص٣٩٠.

(٥٥) المصدر السابق ، ص٤٣٩.

عاشوا فى العصرين المرابطى والموحدى فعلى سبيل المثال لا الحصر من المتصوفة الذين عاشوا فى العصريين، أبو الفضل بن أحمد بن محمد بن عبد الله السجلماسى المتوفى عام ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م(٥٦).

والصوفى أبو عبد الله بن محمد بن عمر الاصم المتوفى عام ٥٤٢هـ /١١٤٧م(٥٧). والصوفى أبو عبد الحليم يعقوب بن هارون الصدينى المتوفى عام ٥٥٩هـ/١١٦٣م(٥٨) وأبو يعقوب يوسف بن على المؤذن المتوفى عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١(٥٩) وعلى بن إسماعيل بن حرزهم المتوفى عام ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣م(٦٠). والصوفى ابو يعزى يلنور بن ميمون المتوفى عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين(٦١) أى أنه ولد تقريبا عام ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠م وبذلك عاش أبو يعزى العصر المرابطى كله وواحداً وثلاثين سنة من العصر الموحدى. والصوفيان أبو عمران موس بن وجادير الدكالى المتوفى عام ٦١٣ هـ / ١٢١٦م وقد زاد عمره على المائة عام(٦٢)، والصوفى أبو ينور ووران بن يكطيف

---

(٥٦) التادلى :مصدر سابق ، ص١٥٣.

(٥٧) المصدر السابق، ص١٥٥ – ابن القاضى : مصدر سابق ، حـ١ ، ص٢٦٠ .

(٥٨) المصدر السابق ، ص١٦٦.

(٥٩) المصدر السابق ، ص١٦٧.

(٦٠) السلاوى : مصدر سابق ، حـ٢، ص١٨٤. ابن قنفذ: انس الفقير، ص١٣.

(٦١) التادلى : المصدر السابق ، ص٢١٣ ، ٢١٤ ، العباس بن إبراهيم : الإعلام، حـ١، ص٤٠٦.

السلاوى : مصدر سابق، حـ٢، ص١٨٧.

(٦٢) التادلى : مصدر سابق، ص٤٣٧.

ابن ابى زرع : الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية، الرباط ١٩٧٢، ص٤٩.

الدغوغى المتوفى عام ٦١٣هـ/ ١٢١٦ م وقد عاش نحوا من مائة وعشرين سنة(٦٣) ويعنى ذلك انهما عاشا زمن الدولتين المرابطية والموحدية. وإذا كنا نقر صعوبة تحديد أعداد متصوفة كل عصر فإننا نعتقد أن أعدادهم كانت أكبر فى عصر الموحدين من عصر المرابطين، كما إنضم إلى التصوف العديد من الطبقات .

الطبقات التى سلكت طريق التصوف :

لم يقتصر التصوف على طبقة معينة داخل مجتمع المغرب الأقصى. فقد ضم التصوف أفرادا من كل الطبقات، ومن كل الأعمار، ومن الجنسين. فسلك هذا الطريق بعض الأمراء والعمال وأرباب الدولة ، وأفراد من الحرفيين زراع وصناع وتجار، وأفراد من مثقفى المجتمع وعلمائه. كما اجتذب التصوف أفراداً من أهل السؤ إلى الطريق بعد أن جعلهم يقلعون عن ذميم الأفعال وسئ الأعمال.

فمن أمراء صنهاجة الذين سلكوا الطريق أبو زكريا بن يوغان المتوفى عام ٥٣٧هـ / ١١٤٢م، سلكه على يد أبى محمد عبد السلام التونسى الذى نجح فى أن يذهب عنه الكبر والزعامة، بأن أمره أن يجمع حزمه من الحطب ويتجه بها إلى سوق المدينة ويبيعها. وأمره أيضا بخلع اللثام من وجهه كعادة المرابطين(٦٤). كما كان أبو محمد صالح بن عمر من ارباب الدولة، فزهد فى الدنيا وسلك طريق التصوف(٦٥). ومن عمال الدولة الذين دخلوا فى طريق التصوف وردوا المظالم إلى أهلها فى المدن التى عملوا بها، أبو محمد عبد الله بن عبد الملك(٦٦)، وأبو زيد عبد الرحمن المتوفى عام ٦١٣ هـ/ ١٢١٦م(٦٧).

---

(٦٣) التادلى : مصدر سابق، ص٤٢١.

(٦٤) المصدر السابق ، ١٢٣.

(٦٥) المصدر السابق ، ص٢٥٠.

(٦٦) المصدر السابق، ص ١٣٧، ٢٣٦.

(٦٧) المصدر السابق، ص٤٣٤.

كما انتشر التصوف بين أفراد مارسوا كافة أوجه النشاط الاقتصادى، من زراعة، ورعى ، وصناعة وتجارة. يتضح هذا فى دراسة المتصوفة وحياتهم الاقتصادية، فى مجتمع المغرب الأقصى(٦٨). وانضم أيضا إلى التصوف العديد من الفقهاء والمحدثين وعلماء الدين(٦٩) ويتضح ذلك ايضا فى دراسة المتصوفة والحياة الدينية والعلمية.

وكان الدور الإيجابى للتصوف داخل مجتمع المغرب الأقصى، هو جذب عدد كبير من المنحرفين عن السلوك السوى، واصلاح نفوسهم وتهذيبها. وتحويلهم من عناصر شر داخل المجتمع إلى عناصر خير . أى أن التصوف نجح فى تنقية المجتمع من بعض عناصر السوء، يؤكد ذلك أن أبا يعقوب تصولى بن وابو سكط المحاسبى من بلد دكالة، كان لصا يقطع الطريق، فتاب إلى الله وأقبل على الجد والاجتهاد فلحق بمرتبة الأفراد(٧٠) كما كان أبو وكيل ميمون بن تاميمونت الأسود الدكالى، فى ابتداء أمره سارقا، ثم تاب إلى الله تعالى ولحق بالطريق(٧١). كما كان أبو يحيى أبو بكر بن فاخر العبدرى المتوفى عام ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣م، من أهل السوء، فندم على ما سلف من سوء عمله وسقطاته، فتجرد من ثيابه وخرج من جميع ما كان عنده وأمر أهله بالخروج عما كان بأيديهم، وتصدق بكل ما لم يعلم له مالكا، وأمر أهله وأولاده وبناته بالتجرد(٧٢).

---

(٦٨) انظر المتصوفة والحياة الاقتصادية ، ص ٩٧ إلى ص ١٠٣.

(٦٩) انظر التصوف والحياة الدينية والعلمية ، ص ١٠٧، إلى ص ١٢٩.

(٧٠) التادلى : مصدر سابق، ص١٣١.

(٧١) المصدر السابق، ص٢٣٤.

(٧٢) المصدر السابق ، ص١٧٥.

وهناك من كان من أهل الدعارة ثم تاب إلى الله، وسلك الطريق حتى أصبح من الأولياء(٧٣) كما كان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عثمان الصنهاجي المراكشي المتوفى عام ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م، مسرفا على نفسه ثم تاب إلى الله تعالى وندم على ما فات وسلف منه(٧٤).

وهناك العديد ممن سلك الطريق كانوا في لهو دائم يعملون في الطرب والغناء، فتركوا ذلك وتابوا إلى الله وأقبلوا على العبادة. منهم أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الصنهاجي(٧٥)، وأبو عبد الله محمد بن موسى الازكاني المتوفى بعد عام ٥٩٠ هـ / ١١٩٣م(٧٦)، الذي أثرت فيه موعظة أبي إسحاق الميورقي الواعظ في فاس ففر إلى الله تعالى(٧٧). كما دخل الطريق أيضا من المسرفين على أنفسهم العاملون بضرب الدف والغناء في الأعراس مثل أبي ولجوط تونارت بن واجزام الهزميري المتوفى في حدود عام ٦٠٨هـ / ١٢١١م(٧٨). وأبي على منصور الصنهاجي من بلد أزمور(٧٩).

على أية حال لقد ضم التصوف أفراداً من كل طبقات المجتمع كما سلك الطريق أيضاً أفراد من الجنسين. أما وقد سبق الحديث عن المتصوفة من الرجال فكان لزاما أن نشير إلى المتصوفات في إيجاز.

---

(٧٣) المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٧٤) العباس بن إبراهيم : الأعلام، حـ٤، ص١٥١.

ابن الموقت : مرجع سابق، حـ٢، ص١١٣.

(٧٥) التادلي:مصدر سابق، ص٣١١، العباس بن إبراهيم:مصدر سابق،حـ١، ص١٥٢.

(٧٦) المصدر السابق، ص٣٦٥.

(٧٧) المصدر السابق والصفحة .

(٧٨) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، حـ٢ ، ص٣٧٠.

(٧٩) التادلي : مصدر سابق ، ص٤١٩.

النساء والتصوف:

لم يقتصر التصوف فى مجتمع المغرب الأقصى على الرجال، فقد دخلت النساء الطريق وكن من الأفراد. لكن ليس هناك وجه للمقارنة بين أعداد المتصوفة من الرجال وأعداد المتصوفة من النساء. فقد بلغ عدد النساء الذين دخلوا الطريق أربع نساء من بين مائتين وخمسين من صوفية المغرب الأقصى.

ومن أولاهن منية بنت ميمون الدكالى وأصلها من مكناس(٨٠) ونزلت فى الجانب الشرقى من مراكش وبه توفيت عام ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م. بعد أن وصلت إلى مرتبة الأفراد(٨١). وهناك الصوفية فاطمة الأندلسية من أهل قصر كتامة وكانت من الصالحات(٨٢). وهناك أم محمد السلامة من بلد دكالة وكانت كبيرة الشأن من الأفراد(٨٣). والصوفية أم عصفور تيعزان بنت حسين الهنتيقى من أهل رباط ملولاسن، وكانت أيضا كبيرة الشأن(٨٤).

وإذا كانت كتب الطبقات قد حفظت لنا تلك التراجم الأربعة فقط فإن هناك أعداداً كبيرة لم تذكرها تلك الكتب، يؤكد ذلك أن الصوفية منية بنت

---

(٨٠) مكناس بينها وبين فاس أربعون ميلا من جهة الغرب ارضها طيبة كثيرة الخيرات انظر : الحميرى : مصدر سابق، ص٥٤٤.

(٨١) التادلى : مصدر سابق، ص٣١٦. العباس بن ابراهيم : مصدر سابق، حـ٧، ص٣٣٢.

(٨٢) المصدر السابق ، ص٣٣١.

(٨٣) المصدر السابق، ص٣٨٧.

(٨٤) المصدر السابق ، ص٣٨٨.

ميمون الدكالى قالت أنه حضر فى رباط شاكر فى أحد الأعوام ألف امرأة من الأولياء(٨٥).

وإذا كان التصوف قد شمل الرجال والنساء كأفراد فقد شمل أيضا عائلات من سكان المغرب الأقصى.

عائلات صوفية :

هناك عائلات عديدة سلك بعض أفرادها طريق التصوف مثل عائلة ابن امغار التي استوطنت مدينة أزمور، وتنسب إلى قبيلة صنهاجة وكان بيتهم بيت خير وصلاح وولاية(٨٦) وقد دخل الجد وهو إسماعيل بن سعيد الصنهاجى طريق التصوف ، ثم دخله ابنه أبو جعفر إسحاق بن سعيد الصنهاجي(٨٧). وانضم الأحفاد إلى الطريق منهم أبو عبد الله محمد بن أبيجعفر إسحاق بن إسماعيل ويعرف بابن أمغار - أى كبير القوم وشيخهم - ووصل إلى مرتبة الأبدال(٨٨). وأبو محمد عبد السلام بن ابى عبد الله محمد بن أمغار، الذى انزوى عن الدنيا وأهلها(٨٩). وأخيراً كان أبو يعقوب يوسف بن محمد بن أبى جعفر اسحاق بن أمغار من كبار الصالحين كبير الشأن جليل القدر(٩٠).

---

(٨٥) المصدر السابق ، ص٣١٦.

(٨٦) المصدر السابق، ص٢٠٩ - العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، حـ٨، ص٢١٢.

(٨٧) التادلى : مصدر سابق، ص٢٠٩، العباس بن إبراهيم: مصدر سابق، حـ٨، ص٢١٢ ؛ الكتانى : مصدر سابق ، حـ٢، ص٢١٨.

(٨٨) التادلى : مصدر سابق، ص٢٠٩. الكتانى : مصدر سابق، حـ٢، ص٢١٨.

(٨٩) التادلى : مصدر سابق، ص٢٣٣.

(٩٠) المصدر السابق، ص٤٢٦.

وهناك أسرة صوفية ثانية استوطنت مدينة فاس واشتملت على عدد من المتصوفة منهم أبو محمد صالح بن عبد الله بن حرزهم(٩١)، وأخوه إسماعيل بن محمد عبد الله بن حرزهم الذى كان من كبار الصالحين(٩٢)، ثم ابنه على بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم المتوفى عام ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣م(٩٣). كما كان لعلى بن إسماعيل أخ من الصوفية(٩٤).

والبيت الصوفى الثالث هو بيت الشيخ أبى يعزى يلنور بن ميمون الذى استوطن الأطلس الكبير الأوسط وتوفى عام ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م(٩٥)، وسلك ابنه على طريق التصوف أيضاً وكان من كبار الصالحين(٩٦).

الدور الاجتماعى لمتصوفة المغرب الأقصى :

لم ينعزل المتصوفة فى بلاد المغرب الأقصى عن مجتمعهم، وتدل مواقفهم على أنهم كانوا إيجابيين شاركوا أفراد مجتمعهم همومهم وآلامهم، وسعوا جاهدين لكشف الضوائق عنهم.فقد تمسكوا بتعاليم الكتاب والسنة التى تحث على التكافل والتعاون عن طريق البذل والإنفاق لإسعاف المنكوبين وإراحةالمتعبين عملا بقوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم

---

(٩١) ابن القاضى : مصدر سابق، ص٣٥٨، ٣٥٩.

(٩٢) ابن قنفذ : مصدر سابق، ص١٢.

(٩٣) المصدر السابق، ص١٢ .

(٩٤) التادلى : مصدر سابق، ص١٦٨ - ١٦٩.

ابن قنفذ : مصدر سابق، ص١٢.

(٩٥) التادلى : مصدر سابق، ص٢١٣- ٢١٤.

(٩٦) المصدر السابق ، ص٢٣١.

الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾(٩٧) وعملا بقول رسوله الكريم " من فرج عن مسلم كربة فرج ا لله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة "(٩٨). وعلى ذلك فقد كان لهم دور فى الرعاية الاجتماعية وخصوصا فى الأزمات الاقتصادية التى كانت تصيب المجتمع وتحدث مجاعات عانى منها الفقراء والمساكين.

(أ) دور المتصوفة فى المجاعات :

أسهم المتصوفة فى التخفيف عن أفراد مجتمعهم فى المجاعات التى تعرضوا لها. فالصوفى ابو حفص عمر بن معاد الصنهاجى الذى كان من أهل بلد أزمور والمتوفى عام ٥٦١ هـ/ ١١٦٥ م. كان كبير الشأن فى هذا المضمار فقد أعان الناس وساعدهم حين أتت عليهم المجاعة عام ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م، حيث جمع خلقاً كثيراً من المساكين كان يقوم بمؤنتهم وينفق عليهم، حتى زالت المجاعة وعم الرخاء(٩٩).

والمتصوف أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الرحمن التادلى المتوفى عام ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م قام بالتخفيف عن كاهل الناس فى المجاعة التى حدثت فى مدينة مراكش حين جمع الفقراء الذين بجامع على بن يوسف ، وأخرج لهم سمنا وقمحا كان عنده وفرقه عليهم حتى لم يبق له منه شئ(١٠٠). كما كان ابو زكريا يملك

---

(٩٧) سورة المنافقون آية ١٠.

(٩٨) البخارى : صحيحه.

(٩٩) التادلى : مصدر سابق ، ص١٨٧.

(١٠٠) التادلى : مصدر سابق، ص٢٤٥، ٢٤٦.

ابن القاضى : مصدر سابق، حـ٢، ص٥٤٢.

فى مدينة فـاس قمحـا فـى غرفتين، قـام بتوزيعـه علـى المسـاكين عـام ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م، وانصرم العام و لم يبق من ماله شئ(١٠١).

وسار على سياسة البـذل والإنفـاق أيضـاً الصوفـى أبـو عبـد ا لله محمـد بـن إبراهيم المهدوى - نزيل مدينة فاس وبهـا توفـى عـام ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م - فقـد دخل مدينة فاس ومعه حوالى أربعين ألفا من الدنانير و لم يزل ينفقها فى سبيل الخير حتى لم يبق له غير دار ثم باعها. وكان يملك ألف صحفة من قمح فأصـابت أهـل فاس مجاعة، فباع جميع ذلك بوثائق وأخرهم فى السداد إلى أجل، فلما حل الأجـل استدعاهم وحل الوثائق فى الماء. وقال لهـم "انتـم فـى حـل ومـا بعـت الأمـن ا لله ولكن احتلت عليكم بالبيع إلى أجل(١٠٢).

ومتصوف آخر هو ابو العباس أحمد بن عبد الرحمن الهوارى من أهل أغمات وريكـة، كـان عبـداً صالحـاً كثير الإيثـار والصدقـات توفـى قبـل عـام ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م وظهر فضله فى عام مجاعة شديدة حينمـا اضطـرت امـرأة أن تبيـع دارهـا لشدة الحاجة فأدخله الدلال ليشتريها بخمسمائة دينار. ولما علم أن ضيق ذات اليـد هى السبب فى بيع هذه المرأة لدارها، قام وبعث إلى المرأة هذا المبلـغ وأرسـل إليهـا يخبرها: "أن الدار باقية على ملكك والمال مالك فانتفعى بـه فإنـا بعثنـه لتسـدى بـه فاقتك"(١٠٣).

---

(١٠١) التادلى : مصدر سابق، ص٢٤٦.

الكتانى : مصدر سابق، حـ٣، ص١٥٣.

(١٠٢) التادلى : مصدر سابق، ص٣٣٢. السلاوى : مصدر سابق، جـ٢، ص١٩٠.

الكتانى : مصدر سابق، حـ٣، ص٢٦٧.

(١٠٣) التادلى : مصدر سابق، ص١٥٣.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، حـ٢، ص٥٧.

على أية حال لم يقتصر دور المتصوفة فى مساعدة أفراد مجتمعهم فى الأزمات الاقتصادية فقط بل كان مستمراً فى مجال الحث على الصدقات والإحسان العام إلى الفقراء.

(ب) الحث على الصدقات والإحسان العام :

إن التكافل والرعاية الاجتماعية لدى الصوفية سلوك للتقرب إلى الله والعمل على مرضاته ودعما لهذا الدور فقد قاموا بالحث على الصدقة والإحسان العام إلى الفقراء، كما جاء بالقرآن الكريم ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب﴾(١٠٤). ﴿وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾(١٠٥). وكان هؤلاء المتصوفة قدوة طيبة فى هذا المجال. فالصوفى ابو محمد يسكر بن موسى فقيه مدينة فاس المتوفى عام ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م قال" فى هذا المضمار طلبنا التوفيق فوجدناه إطعام الطعام"(١٠٦) . كما أن أبا العباس أحمد بن محمد بن يوسف وهو من أهل سلا ومات قبل عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥ م كان ذا مال فتصدق بجميعه لأصحاب الحاجة(١٠٧) وقام الصوفى أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن عبد الله التادلى المتوفى عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٥ م بإنفاق ماله كله فى سبيل الخير حتى لم يبق له شئ(١٠٨).

---

(١٠٤) سورة التوبة أية ٦.

(١٠٥) سورة البقرة اية ١٧٧.

(١٠٦) ابن قنفذ : مصدر سابق، ص٢٣. ابن القاضى: مصدر سابق، حـ٢ ،ص٥٦٢.

(١٠٧) التادلى : مصدر سابق، ص١٦٥.

(١٠٨) المصدر السابق، ص٢٤٨.

كما كان أبو العباس السبتى عطوفا محسنا إلى المساكين واليتامى والأرامل فكان يجلس حيث أمكنه الجلوس فى الأسواق والطرق ويحض الناس على الصدقة ويأتى بما جاء فى فضيلتها من الآيات والآثار، فتنهال عليه الصدقات فيوزعها على المساكين وينصرف(١٠٩). ويقوم مذهب أبى العباس السبتى فى التصوف على الحث على الصدقة وكان يرد سائر أصول الشرع إليها(١١٠).

كما كان الصوفى أبو محمد صالح بن واندلوس وأصله من تارودانت واستوطن مراكش واغمات وريكة واستقر أخيراً بالسوس الأقصى وتوفى بعد عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م. لا يمسك شيئا مما يقع فى يده من أموال ولما وصل إلى بلدة تارودانت تصدق على المساكين بجميع ماورثه عن أبيه من الأملاك ولم يتمسك بشئ. وفى فترة إقامته بمراكش كان الفقراء لا يفارقون منزله، فتاره يخرج إليهم بصدقات وتارة يرمى إليهم الدراهم من بين الأبواب(١١١).

والمتصوف أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السلاجى - وهو من أهل الجانب الشرقى من مراكش توفى عام ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م - كان لايبيت وعنده مال معلوم يركن إليه فكان يسعى حتى يتصدق به، وكان عندما يمشى يطرح عليه أثرياء المنطقة أنواع الثياب، فيطرحها هو على الفقراء ويبقى بمرقعة(١١٢).

كما باع الصوفى أبو عمران موسى الصاريونى أرضا كانت له وتصدق بثمنها على المساكين(١١٣) والصوفى أبو على حسن بن على المطغرى المؤذن الذى

---

(١٠٩) أحمد بابا : نيل الابتهاج، ص٧٢. السلاوى: الاستقصا، جـ٢، ص٢٣٥.

(١١٠) التادلى : مصدر سابق، ص٤٥٣.

(١١١) المصدر السابق،ص٣٤٧ - ٣٤٩.العباس بن إبراهيم:الإعلام، جـ٧، ص٣٤٢.

(١١٢) التادلى : مصدر سابق، ص٣٧٧، ٣٧٨.

(١١٣) المصدر السابق، ص٢٨٨.

نزل فى الجانب الشرقى من مراكش، كان بعد أن يـأخذ أجرتـه نظـير عملـه يبقـى منها شيئا لقوته ويتصدق بالباقى على المساكين(١١٤).

وتتعدد وجوه البر والإنفاق فى سبيل ا لله لمتصوفـة المغـرب الأقصـى فمنهـم الصوفى أبو إبراهيم إسحاق بـن محمـد الهزرجـى المتوفـى عـام ٥٨١ هــ/ ١١٨٦م الذى كان يتفقد مكاتب الصبيان ليعطف وينفق على أبناء الأيتام والفقراء(١١٥).

والصوفى أبو عبـد ا لله التـاودى المعلـم الـذى كـان مـن أهـل فـاس وتوفـى عام٥٨٠ هـ/ ١١٨٥م، كان يملك مكتبا لتعليم الصبيان، فكان لا يأخذ الأجر مـن أولاد الفقراء ويرد عليهم ما يأخذه مـن أجـر مـن اولاد الأغنيـاء وبلـغ فـى عطفـه وإحسانه عليهم أنه كان يغسل أثواب الصبيان ويخيطها. إذا احتاجت إلى ذلك ولا يأخذ على ذلك أجراً(١١٦). وهناك من حبس فدانا لدفن موتى المسلمين(١١٧). بـل هناك من تصدق على فقراء أهل الذمة، فقد تصدق الصوفى عبد الجليل بن ويحلان المتوفى عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م بجبة ثمنها عشرة دنانير لنصرانى مربه(١١٨).

أمثلة كثيرة تمدنا بهـا المصادر توضـح جهود هـؤلاء المتصوفة فـى أعمـال البر والخير تأكيد المبدأ التكافل الاجتمـاعى والرعايـة الاجتماعيـة الـذى يأمرنـا بـه الإسلام.

---

(١١٤) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، حـ٣، ص١٣٤.

(١١٥) التادلى : مصدر سابق، ص٢٤١.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، حـ٣، ص٥٩.

(١١٦) التادلى : مصدر سابق، ص٢٧٢.

الكتانى : مصدر سابق ، حـ٣، ص١١٠، السلاوى: مصدر سابق، حـ٢، ص١٨٨.

(١١٧) التادلى : مصدر سابق، ص٣٦٩.

(١١٨) المصدر السابق، ص١٥٠.

وهو سلوك اتبعه المتصوفة لشعورهم بأنهم مسئولون عن راحة الجماعة وسعادتها، ولذلك كانوا يسعون فى مصالح الضعفاء من ذلك ما قام به أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاجى - الذى استوطن مدينة فاس وتوفى عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م - من المرور على الأبواب فيجد النساء قد أخرجن الخبز لمن يحمله إلى الفرن فيحمله لهن(١١٩). كما كان أبو الحسن على بن عبد الرحمن المعروف بابن الدلال يخدم أهل المحلة التى كان يسكن فيها، ويتصرف فى حوائج الضعفاء ويستسقى الماء للأرامل، ويحمل لهن الخبز إلى الفرن(١٢٠).

المتصوفة والقيم الاجتماعية:

من تصفح أخلاق وسلوك المتصوفة العملى نجد أن لهم دورا فى الحث على التمسك بقيم الإسلام النبيلة واتباع الفضيلة، فكانوا قدرة طيبة لأفراد مجتمعهم. والقدوة هى الوسيلة التى يتمكن بها المصلح الاجتماعى من أداء رسالته. ولذلك كانوا قدوة لجماهير الشعب فى الزهد وترك زخارف الدنيا بعدم الانغماس فى اللهو والملذات. ويقول أحد المتصوفة "أن ترك الدنيا للدنيا شر من أخذها"(١٢١). ولا يعنى الزهد هنا عند الصوفية الحرمان مما أحله الله تعالى، لكنه يعنى عدم الانغماس فى الماديات ولذلك كان الزهد عندهم هو حبس النفس عن الملذات

---

(١١٩) التادلى : مصدر سابق، ص١٩٨، ٢٠١.

الكتانى : سلوة الانفاس، جـ٢، ص١٨٣.

(١٢٠) ابن الموقت : السعادة الأبدية، جـ٢، ص١١٦.

العباس بن إبراهيم : الإعلام جـ٩، ص٧٣.

(١٢١) أبو مدين : شرح حكم العارف بالله أبى مدين للشيخ أحمد بن عبد القادر، القاهرة ١٢٩٧هـ، ص١٠٢.

وامساكها عنها فالزهد على الحقيقة هو صرف رغبة القلب إلى ا لله وتعلق الهمة به والاشتغال به عن كل شئ(١٢٢) وقد غلب الزهد والتقشف فى الحياة الدنيا على صوفية المغرب الأقصى(١٢٣). وأثر هذا الأسلوب فى الحياة داخل المجتمع مما كان له أكبر الأثر فى تهذيب النفس البشرية، والسمو الخلقى لأفراد هذا المجتمع. جدير بالذكر أن بعض الصوفية تطرفوا فى زهدهم فى الدنيا و لم يتزوجوا قط(١٢٤).

كما غرسوا فى مجتمعهم المحبة فى ا لله، وليس لغرض من أغراض الدنيا الزائلة ويتضح ذلك فى علاقة شيوخ التصوف بعضهم ببعض وعلاقة شيوخ التصوف بالمريدين(١٢٥).

ومن القيم التىغر سوها أيضا فى المجتمع إعانة المحتاجين والضعفاء تنفيذا لأمر ا لله تعالى بالتعاون على البر والتقوى وعلى فعل الخير وترك الشر وقد ضرب المتصوفة القدرة الطيبة فى هذا السلوك كما سبق القول (١٢٦) .

كما حاربوا الكبر داخل المجتمع وحثوا الأفراد على التواضع الذى يرفع من منزلة الإنسان، لأن التكبر على الناس منازعة لله تعالى فى كبريائه وذلك تحقيقاً لقوله تعالى ﴿وتلك الدار الأخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا

---

(١٢٢) ابن العريف : محاسن المجالس، ص٧٧.

(١٢٣) التادلى : مصدر سابق ، صفحات ١٠٦، ١٠٨، ١٠٣، ١٤٥، ١٨١، ٢٠٥، ٢٣٠، ٢٨٧، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٣٥.

(١٢٤) المصدر السابق، ص١٠٩، ٢٣٣، ٤٠٧، ٤١٠.

(١٢٥) المصدر السابق، ص١١٨، ١٥٦، ١٧٠، ١٩٢.

الصفدى : الوافى بالوفيات ، حـ٨، ص١٣٣.

ابن الآبار : المعجم فى أصحاب القاضى أبى على ، ص١٨، ٢٠.

(١٢٦) انظر صفحات ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ .

فساداً﴾(١٢٧) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " أن الله أوصى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد"(١٢٨). ويقول قطب التصوف ابو مدين: "لا ينفع مع الكبر عمل "(١٢٩) ومن أراد من المريدين أن يلحق بأهل الطريق، فلا بد أن يزيل ما به من الكبر(١٣٠).

ومن القيم الاجتماعية التى كان للمتصوفة الفضل فى إبرازها الإيثار، ويعنى إيثار الإنسان لغيره فيما هو فى حاجة إليه من أمور الدنيا. وهذا من أعلى درجات المعاملة مع الناس(١٣١) لأن خلق الإيثار يجعل أفراد المجتمع يعيشون فى تعاون ومحبة ووئام .

كما حرص المتصوفة على نصر المظلوم لأن الظلم مهلك لعامة الناس فتحتم عليهم التعاون على دفعة . ويضح هذا فى تشفعهم للرعايا عند الحكام لرفع الظلم عنهم، والتصدى لهؤلاء الحكام إذ لم يحيدوا عن الظلم(١٣٢).

كما كان المتصوفة قدوة لأفراد مجتمعهم فى بغض الفواحش والتمسك بقيم الدين السامية إذا كانوا يحرصون على عدم الاختلاط بالنساء والاختلا بهن(١٣٣)

---

(١٢٧) سورة القصص الآية ٨٣.

(١٢٨) انظر : صحيح مسلم.الأحاديث التى جاءت فى التواضع مجلد ٤، جـ ٨، ص ٢١، ص ٣٦.

(١٢٩) أبو مدين : شرح حكمه، ص١٧.

(١٣٠) التادلى: مصدر سابق، ص٢٥٤.

(١٣١) المصدر السابق، ص١٥٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ص٣٣٢.

ابن القاضى:مصدر سابق، جـ٢، ص٥٤٢.الكتانى:سلوة الانفاس،جـ٣،ص١٥٣، ٢٦٧

(١٣٢) انظر صفحات٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ .

(١٣٣) التادلى : مصدر سابق، ص١٥٩.

وغض البصر عنهن فى الطرقات(١٣٤)، لأن الله نهى عن الفحشاء والمنكر فى قوله تعالى﴿ لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾(١٣٥).

وأخيراً من القيم الاجتماعية التى أشاعوها فى المجتمع بسلوكهم، تحرى الحلال والحرام فى كل معاشهم(١٣٦) والابتعاد عن الشبهات فالحلال بين ، والحرام بين.

على أية حال فإن المتصوفة لم يأتوا فى ذلك بمبادئ وقيم جديدة فهى قيم ومبادئ إسلامية أصيلة وجدت فى مجتمع المغرب الأقصى منذ انتشرالإسلام بين أفراده. وقد تمسك المتصوفة بهذه القيم فى سلوكهم داخل المجتمع لأنها قيم إسلامية من هدى الكتاب والسنة. وقد رفعت هذه القيم من مكانتهم الاجتماعية داخل مجتمع المغرب الأقصى فى عصرى المرابطين والموحدين.

مكانة الصوفية الاجتماعية داخل المجتمع :

حاز المتصوفة المغاربة احترام عامة الشعب لهم، فقد أجلوهم وأحلوهم مكانة رفيعة ومنزلة عالية. وكما أشرنا سابقاً فقد كانت لهم منزلة رفيعة أيضاً عند الحكام من سلاطين وعمال. وترجع هذه المكانة إلى أنهم كانوا سنداً لأفراد مجتمعهم ضد مظالم السلطة السياسية، فقد لجئوا إليهم لدفع ما ألم بهم من المظالم.

كما كانوا الملاذ الذى يلجأ إليه أفراد المجتمع فى الأزمات الاقتصادية، بفضل جهدهم فى مجال الرعاية الاجتماعية والتكافل الاجتماعى كما سبق القول.

---

(١٣٤) التادلى : مصدر سابق،ص٢٥٩. العباس بن إبراهيم : الأعلام، جـ ٨، ص٣٥.

(١٣٥) سورة الأنعام /١٥١.

(١٣٦) التادلى : مصدر سابق،ص٢٣٩.

وهناك العديد من المظاهر التى تؤكـد ارتفـاع مكـانتهم الاجتماعيـة وتعلـق الشعب بهم منها أن عامة الشعب كانوا يتجمعون حـول الصوفيـة طـالبين الدعـاء والبركة، فالصوفى عبد الجليل بن ويحلان كانت دار سكناه قريبة من الجامع، فـإذا صلى الجمعة انصرف إلى منزله و لم يكن يصل إلا وقت العصر من كثرة ما يتجمـع حوله من الناس(١٣٧) وقد حسده أحد القضاة على هذه المنزلة وعلى اجتماع الناس عليه(١٣٨).

ومن مظاهر تبجيلهم أيضا أن هناك حـالات كثـيرة كـان الأهـالى يحرصـون فيها على خدمتهم ومساعدتهم فى زراعة أراضيهم أو حصادها، لكنهم كانوا يرفضون كل المساعدات لتقديرهم لقيمة العمل(١٣٩). ونظراً لارتفاع مكانتهم الاجتماعيـة. وتعلق الناس بهم على هذا النحو فقد كان كثير من الأهالى يأتون إليهم من بلـدان بعيدة لزيارتهم. وكان أهالى القرى القريبة يستضيفون الواصلين لزيارتهم ويتبركون بهم(١٤٠).

على أية حال نستطيع أن نؤكد أن متصوفـة المغـرب الأقصـى شـكلوا طبقـة اجتماعية كان لها وزنها وثقلها داخل المجتمع، كما كـانوا عنصـرا فعـالا فـى كـل أوجه الحياة الاجتماعية.

وإذا كنا قد استعرضنا دورهم الاجتماعى على هذا النحو فقـد جـاء الـدور لاستعراض دورهم فى النشاط الاقتصادى داخل مجتمعهم.

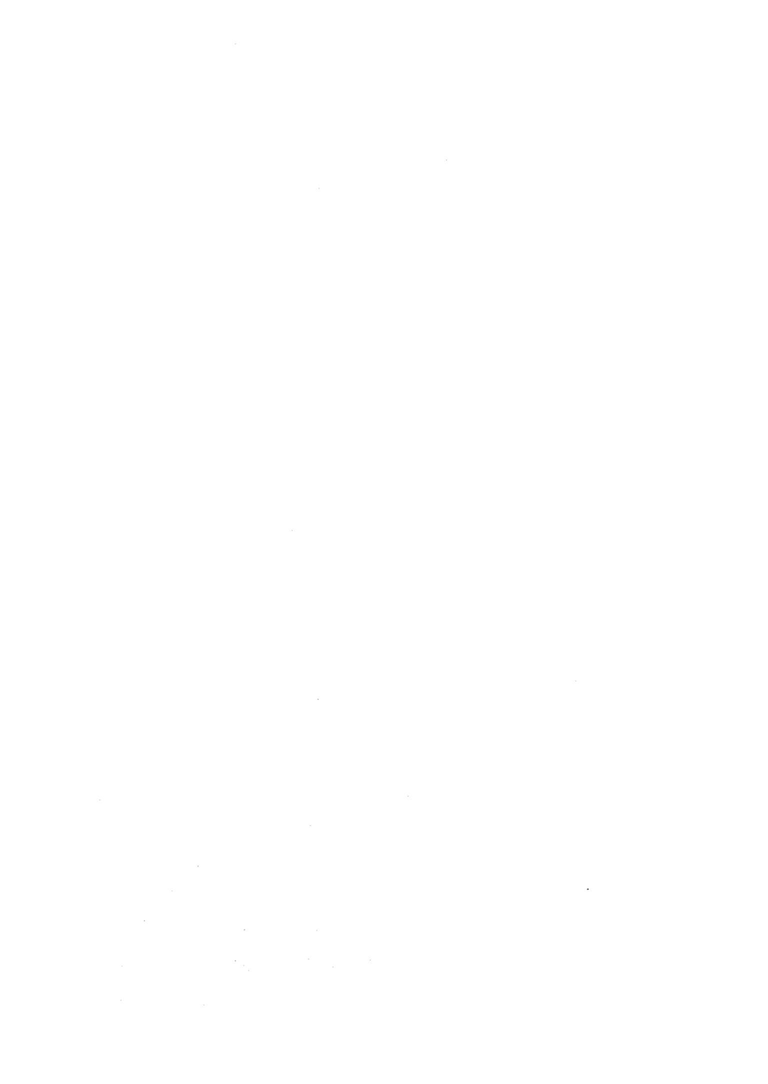
---

(١٣٧) التادلى : مصدر سابق ص١٤٧.

(١٣٨) المصدر السابق، ص١٤٧، ١٤٨.

(١٣٩) المصدر السابق، ص١١٣، ص٢٠١.

(١٤٠) المصدر السابق، ص٢٢٢.



الفصل الرابع

المتصوفة والنشاط الاقتصادى

١ – المتصوفة والعمل.

٢ – المتصوفة والعمل الزراعى و الرعوى .

٣ – المتصوفة والعمل بالصيد وتربية النحل.

٤ – المتصوفة والعمل فى الحرف والصناعات.

٥ – المتصوفة والعمل التجارى.



المتصوفة والعمل :

للعمل في الإسلام مكانة مرموقة، فهو قيمة أساسية من قيم المجتمع المسلم، ويمنح اليد العاملة توقيراً وفضلاً كبيراً، ويقول الله عزل وجل ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾(١)، وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن العمل للدنيا من الدين، وأنه شيمة الأنبياء والمرسلين سواء كان هذا العمل زراعياً، أو صناعياً، أو تجارياً. ويقول عليه الصلاة والسلام : ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده"(٢) .

لقد فهم صوفية المغرب الأقصى هذه المعانى التى جاءت فى الكتاب، والسنة النبوية كما أنهم فهموا صلة الصوفى بمجتمعه. فهم لم يقروا أن يعيش الصوفى عالة على غيره، ولذلك قد روا قيمة العمل فكانوا يعملون ويكسبون رزقهم، وفي الوقت ذاته لا يصرفهم ذلك عن طاعة الله وعبادته. فالكسب عندهم فضيلة تحرر الإنسان من ذل المسألة، ويعني الكسب أن يكون الصوفي مشتغلاً بشتى الحرف، والتجارات، وغير ذلك مما أباحته الشريعة على تيقظ، أو تثبت بعيداً عن الشبهات، وقد تمسكوا بهذه المعانى وعاشوا من كد أيديهم(٣).

وأمدتنا المصادر بالأعمال التى مارسها صوفية المغرب الأقصى ، وقد تعددت هذه الأعمال فشملت الزراعة، والرعى، والصناعة، والتجارة، وغيرها من الحرف.

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٥ .

(٢) انظر : صحيح البخارى الأحاديث التى جاءت فى فضل العمل.

(٣) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٤٨.

المتصوفة والعمل الزراعي والرعوى :

قام متصوفة المغرب الأقصى بالعمل فى زراعة أراضيهم، وقاموا بجميع العمليات الزراعية من حرث، وحصاد ودرس. فكان أبو محمد حميس بن أبى زرح الرجراجى الأسود يملك أرضاً يقوم بزراعتها وخدمتها بنفسه، وكان لا يأكل إلا من عمل يده تقديراً لقيمة العمل. وفى أحد الأعوام استحق فدانه الحصاد فتواصى فتيان القرية على حصاده دون أن يعلموه، فأقبل أبو محمد وقد رآهم قد حصدوا جزءاً من فدانه فقال لهم : كفوا بارك الله فيكم فقالوا له : ما حصدنا إلا طائعين متبرعين فقال لهم : يكفيكم ما حصد ثم فعسى أن تجمععوه فجمعوا ما حصدوا، وحازه بموضع واحد فعزله وتصدق به وكره أن يأكل مماعملوه من غير أجرة(٤).

كما كان للصوفى أبى محمد مع الله بن يحيى من بلاد تادلا المتوفى عام ٥٣٦ هـ/١١٤١م بستان يخدمه بنفسه(٥)، ولأبى محمد جلداسن بن إسحاق المتوفى عام ٥٧٠هـ /١١٧٤م بستان أيضاً يخدمه بنفسه ولا يخدم له أحد(٦) .

وكان أبو عبد الله يلا سيف الرجراجى يقوم بأعمال الزراعة فى أرضه، ويخدمها بنفسه(٧) وغيرهم كثير من الصوفية الذين كانوا يعملون فى زراعة أراضيهم(٨).

---

(٤) التادلى : التشوف، ص١١٣ .

(٥) المصدر السابق، ص ١٣٤ .

(٦) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ٣ ،ص ١٠١.

(٧) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٥٧.

(٨) المصدر السابق، ص ٣٧٦ ، ص ٤٠٠.

وهناك من المتصوفة من كان لا يملك أرضاًلزراعتها، لكنهم كانوا يعملون بالأجر فى أراضى غيرهم. منهم أبو الحسن على الصنهاجى من أهل تادلا الذى كان يعيش من حراسة البساتين، والحصاد، وأنواع الخدمة الأخرى(٩). وحين احتاج أحد ملاك الأراضى إلى حصاد فى وقت الحصاد التمس أجيراً على الحصاد، فوجد الصوفى عبدا لله الجزولى من أهل سجلماسة والمتوفى فى حدود عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م، فاستأجره فحصد له زرعه ثم استعمله كل عام فى حصاد أرضه(١٠).

كما مارس صوفية المغرب الأقصى أيضاً العمل الرعوى فقد كان لأبى زكريا يحيى بن موسى المليجى من بلد رجراجة، أبقار يتولى رعايتها بنفسه، وحين سافر إلى المشرق للحج استأجر راعيا ليقوم بالرعى مكانه(١١). كما كان أبو يعزى يلنور المتوفى عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م يعمل راعياً(١٢). وجدير بالذكر أن هؤلاء المتصوفة كانوا يحثون الرعاة ومن يملك الدواب ألا يجعلوا هذه الدواب ترعى فى أرض الغير لأن ذلك مخالفاً للشرع(١٣)، و لم يكتفوا بالنصح والإرشاد، بل ضربوا المثل، والقدوة الطيبة لأفراد مجتمعهم. فمن المتصوفة من كانت له أبقار إذا حملها من داره لترعى، جعل على فمها كمامة لئلا ترعى فى أرض أحد، فإذا وصل إلى أرضه أزال الكمامة عن فمها، وجعلها ترعى فى أرضه، فإذا أراد أن يعود إلى داره أعاد الكمامة وساقها إلى داره(١٤).

---

(٩) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٥٤- ٢٥٥ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

(١١) المصدر السابق ، ص ١٢٨.

(١٢) المصدر السابق ، ص ٢١٥.

(١٣) المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

(١٤) المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

المتصوفة والعمل بالصيد وتربية النحل :

مارس حرفة الصيد الصوفى أبو حفص عمر بن معاد الصنهاجى من بلد أزمور المتوفى عام ٥٦١هـ / ١١٦٥م ، وكان يصطاد السمك من سواحل البحر المحيط، ويقتات بذلك، كما كان يقوم بجمع عسل النحل من البرية(١٥). وكان أبو موسى الدكالى من أهل سلا يجمع ما يلفظه البحر من مباح الأكل فيبيعه ويشترى بثمنه خبزاً(١٦). وعمل أيضاً بحرفة الصيد الصوفى أبو جعفر محمد بن يوسف الصنهاجى من بلاد تادلا، وبها توفى عام ٦٠٨هـ/ ١٢١١م. وبالاضافة إلى ذلك كان هذا الصوفى يتخذ خلايا النحل، ويقوم ببيع العسل للإنفاق على نفسه والتصدق على الفقراء(١٧) .

المتصوفة والعمل فى الحرف والصناعات :

تعددت الحرف التى مارسها صوفية المغرب الأقصى مما يؤكد مشاركتهم بإيجابية فى النشاط الحرفى فى المجتمع. فقد كان الصوفى أبو عمران موسى بن يدراس الحلاج يعمل حلاجاً للقطن فى مدينة فاس(١٨). وكان أبو عبد الله الصوفى يعمل خياطاً(١٩) . كما عمل بحرفة الحياكة أيضاً الصوفى أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن الصنهاجى الجباب الأزمورى المتوفى عام ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م(٢٠).

---

(١٥) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٨٣ .

(١٦) المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(١٧) المصدر السابق ، ص ٤٠٣ .

(١٨) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٣٨ .

(١٩) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٥٧ .

(٢٠) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، جـ ٢، ص ٨٩ .

وهناك من المتصوفة من تخصص فى صناعة الأطباق مثل أبى الحسن على بن زكريا الأسود(٢١). وتخصص البعض فى صناعة القدور مثل أبى زكريا بن يحيى بن ميمون الصنهاجى من بلد أزمور وبها توفى عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م ، وكان هذا الصوفى يصنع القدور ويبيعها ويشترى بثمنها شعيراً فيطحنه بيده ويخبزه ويأكل منه(٢٢). كما كان الصوفى أبو ويعزان بيريدن بن وبيدن الأيلانى المتوفى عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، يعمل أيضاً فى صناعة القدور، وكان يقتات بثمنها(٢٣).

أما الصوفى أبو سعيد عثمان اليرصجى من بلد دكالة وتوفى فى حدود ٥٩٠هـ / ١١٩٣م، كان يقوم بعمل أحجار الأرحاء التى تستخدم فى طحن الحبوب(٢٤).

ومن الحرف التى عمل بها صوفية المغرب الأقصى حرفة دبغ الجلود فقد كان أبو على حسن بن على المطغرى المتوفى عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م يعمل بدبغ الجلود، وإذا أراد أحد أن يستأجره على دبغ الجلود يشترط على مستأجره أن يتوضأ متى انتقض وضوءه، وأن يصلى الظهر والعصر فى الجماعة(٢٥).

المتصوفة والعمل التجارى:

عمل بعض المتصوفة فى النشاط التجارى من بيع وشراء فكان الصوفى أبو جبل يعلى من أهل فاس وتوفى عام ٥٠٣هـ / ١١٠٩م جزاراً بفاس وكان يتورع

---

(٢١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٦٨.

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٤١٤ .

(٢٣) المصدر السابق،ص٤٣١.العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ١٠، ص ١٩٦.

(٢٤) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣١٩.

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٣٨٤ ،

العباس بن إبراهيم : مصدرسابق ، جـ٣، ص١٣٤.

فى البيع والشراء، فلا يشترى الغنم إلا من قوم يعرف طيب مكسبهم. وكان يخرج إلى دكانه بالسوق بعد صلاة الضحى، وكان يساعده فى دكانه مريدوه الذين كانوا يذبحون له الغنم ويعدونها للبيع(٢٦).

كما كان لأبى إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجى - وهو من أهل الجانب الشرقى من مراكش وتوفى عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م- دكاناً لبيع الإسفنج والهريسة فإذا حصل من ثمن بيعها وربحها ما يكفيه ويكفى أصحابة أطعم المساكين بقية ما تبقى عنده من الهريسة(٢٧). كما كان أبو يعقوب يوسف بن على المؤذن من أهل داى وتوفى عام ٥٥٧هـ /١١٦١م، يعمل عطاراً، وله دكاناً فى سوق مدينة داى(٢٨).

كما كان أبو محمد عبد الواحد بن تومرت الهسكورى الأسود يبيع الخضروات فى السوق فى قفه، وكان يرفض اتخاذ دكاناً فى السوق ويقول "إذا حانت الصلاة توضأت ودخلت المسجد ووضعت قفتى عند ساريه، وإذا اتخذت دكاناً وحانت الصلاة ومررت إلى المسجد يوسوس إلى الشيطان، ويقول : لعلك سرق لك شىء فلا يصفو لى خاطرى فى الصلاة"(٢٩).

على أية حال فإن مشاركة صوفية المغرب الأقصى فى أوجه النشاط الاقتصادى المختلفة توضح أنهم فهموا أن التصوف الصحيح لا يرضى بحال أن

---

(٢٦) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٠٢. الكتانى : مصدر سابق ، حـ ٣ ص ١٦٢.

(٢٧) التادلى : مصدر سابق، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، حـ ٣، ص ٥٩.

(٢٨) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٣٥٩.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، حـ ٨، ص ٥٠٨.

تصرف العبادات أصحابها عن طلب الرزق والكسب. فـالزهد أن يزهـد الصوفـى فيما يملكه بكده وكسبه الحلال فيتصدق به على فقراء المسلمين، وليـس الزهـد أن يزهد المرء فيما لم تصل إليه يده، ولم يدخـل فـى ملكـه. ولذلـك لم يعيـش هـؤلاء المتصوفة عالة على مجتمعهم فالعمل كمـا فهمـوه واجـب شـرعى لعمـارة الأرض، ولمساعدة المحتاجين من الناس مما يدره هذا العمل من كسب حلال.



الفصل الخامس

المتصوفة والحياة الدينية والعلمية

أولا : المتصوفة والحياة الدينية .

١ - الأثر الروحى للمتصوفة فى المجتمع.

٢ - بناء المساجد والقيام بالوظائف الخاصة بها.

٣ - جهود دينية أخرى للمتصوفة.

ثانيا : المتصوفة والحياة العلمية .

١ - الحرص على تعلم العلم.

٢ - الدور العلمى للمتصوفة وأهم العلوم التى نبغوا فيها.

٣ - المتصوفة والتعليم.



أولاً : المتصوفة والحياة الدينية :

١ - الأثر الروحى للمتصوفة فى المجتمع :

كان لهؤلاء المتصوفة أثر روحى فى مجتمعهم فقد أشاعوا روح الزهد كما أنهم كانوا أهل تقوى وورع عنوا بتربية النفس، وتهذيب الروح على نهج الكتاب، والسنة. وقد تأسى أفراد المجتمع بهم فى زهدهم وسلوكهم وتقواهم، وكانوا قمة فى محاسبة أنفسهم وفى خشية الله فى سرهم وعلانيتهم وفى حفظ الجوارح، وبذلك حموا أنفسهم ومجتمعهم من الرذيلة.

وبقراءة تراجم المتصوفة فى الفترة الزمنية للدراسة، نجد أنهم كانوا أهل زهد وتقشف[١]، ونجحوا فى جذب الكثير من أفراد المجتمع إلى الطريق لأنهم جعلوا التصوف مقبولاً فى مجتمعهم لأنه تصوف مبنى على أساس الكتاب والسنة، ولم يتفلسفوا، ولم يمزجوا بين تصوفهم والأفكار الأجنبية الدخيلة على التصوف الإسلامى فلم نجد منهم من ادعى عقيدة الحلول، والفناء، أو وحدة الوجود ، وبهذا السلوك الذى اتبعوه أصبحوا قدوة صالحة لأفراد مجتمعهم.

٢ - المتصوفة وبناء المساجد والقيام بالوظائف الخاصة بها :

كان للمتصوفة فى المغرب الأقصى نشاط دينى يتمثل فى قيام بعضهم ببناء العديد من المساجد لدورها الدينى والثقافى فى حياة المجتمع، ولحثه سبحانه وتعالى الناس على عمارة المساجد فى قوله الكريم: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا

---

(١) التادلى : مصدر سابق، ص ١١٨، ١٣٢، ١٤٥، ١٦٨ .

، ابن الموقت : السعادة الأبدية، جـ ١ ، ص ١٠٩، ١٢٩، ١٥٠

السلاوى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٦٨ ، ٦٩، ١٨٤ .

من المهتدين﴾(٢)، ولذلك نشط الصوفية فى بناء المساجد، من أمثلة ذلك ما قام به أبو زكريا يحيى بن محمد الجراوى، وهو من بلاد تادلا من بناء مسجد عند موضع الحواتين على وادى وانسيفن من بلاد تادلا(٣). أما الصوفى أبو حفص عمر بن ميكسوط المتوفى عام ٥٤٦هـ /١١٥١فقد بنى مسجداً فى منطقة تافرنت من بلد بنى دغوغ من إقليم دكالة، وقد دفن فيه بعد وفاته(٤). كما بنى الصوفى أبو تميم عبدالواحد الأسود تلميذ أبى يعزى مسجداً يقع على بعد أميال من مدينة مكناسة، ولما مات دفن فى رحبة ذلك المسجد(٥).

كما تولى عدد من المتصوفة القيام بالوظائف الخاصة بالمساجد فمنهم من تولى وظيفة المؤذن، ومن أمثلة الذين تولوا هذا العمل أبو يعقوب يوسف بن على المؤذن وهو من أهل داى وبها مات عام ٥٥٧هـ /١١٦١م وقد أذن فى صومعة داى أربعين سنة،ماطلع عليه الفجر ألا وهو على الصومعة،وكان جهير الصوت يسمع صوته من مسافات بعيدة(٦)، وكان أبو محمد عبد الله بن أحمد وهو من أهل الجانب الشرقى من مراكش وبها مات عام ٥٩٠هـ / ١١٩٣م يعمل مؤذناً فى مسجد أبى مروان بمراكش(٧). كما عمل الصوفى أبوعلى حسن بن على المطغرى مؤذناً أيضاً فى أحد مساجد مراكش(٨).

---

(٢) سورة التوبة آية ٩.

(٣) التادلى : مصدر سابق، ص ١٣٧.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٤١.

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٦٩.

(٦) المصدر السابق، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٧) ابن الموقت : السعادة الأبدية، حـ ١، ص ١٣٢.

(٨) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، حـ ٨، ص ١٩٨.

أما وظيفة إمامة الناس فى الصلاة فقد شغلها أيضاً بعض المتصوفة منهم الفقيه لقمان السايوى وهو هسكورى جليل القدر ، وقد أم الناس فى جامع وطاس بأغمات وربكة نحوا من أربعين عاماً أو خمسين ما سها قط فى صلاة من تلك الصلوات إلا يوماً واحداً(٩). كما تولى أبو زيد الإمام إمامة الفريضة بجامع أغمات وربكة(١٠)، ثم تولى الإمامة بعده فى نفس هذا الجامع الصوفى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن مؤمن المرادى(١١).

كما تولى بعض المتصوفة وظيفة الوعظ والخطابة فى المساجد، والرباطات منهم الصوفى أبو محمد عبد الحليم بن إسماعيل الأيلانى وهو من مراكش وتوفى عام ٥٩٣هـ /١١٩٦م، وكان حسن الموعظة سريع الدمعة يقصده المريدون ويجتمعون عنده، فنفع الله به خلقاً كثيراً(١٢). كما كان الصوفى أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمى المتوفى عام ٦١٤هـ /١٢١٧م واعظاً بجامع القصر فى أيام الجمع، وكان حسن الموعظة طيب النغمة دائم العبرة، وقد تاب على يديه من أراد الله به خيراً وانتفع به(١٣) .

---

(٩) التادلى: مصدر سابق، ص ٣٨٤. العباس بن إبراهيم: مصدر سابق، جـ٣ ، ص ٢٧٤.

(١٠) التادلى : مصدر سابق، ص ١١٣، ١١٤.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٣ ، ص ٢٧٤.

(١١) ابن المؤقت : مرجع سابق، جـ ١، ص ٦٩.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، جـ ١، ص ٢٣٠.

(١٢) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣١٣. العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٨ ، ص ٣٥.

(١٣) التادلى : مصدر سابق ، ص ٤٣٩، ٤٤٠.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٤ ، ص ١٧٣.

ومن المتصوفة الذين وعظوا فى الرباطات ابو محمد بن موسى الدغوغى وهو من بلد دكالة وتوفى بها عام ٦٠٥هـ /١٢١٨م، وقد عمر مائة وعشرين سنة وكان واعظاً برباط شاكر(١٤).

كما قام الصوفى أبو ولجوط تونارت الهزميرى وهو من بلد نفيس وبها مات عام ٦٠٨هـ / ١٢١١م بوعظ المصامدة فى الرباطات بمواعظ لا يهتدى إليها الخطيب المصقع، وحين وعظ المصامدة فى رباط عقبة من بلد نفيس تكلم بلسانهم ووعظهم موعظة بليغة، وزهدهم فى الدنيا(١٥).

وتعددت الجهود الدينية لمتصوفة المغرب الأقصى فالصوفى أبو محمد عبد الله بن حريز وهو من أهل فاس وبها توفى عام ٦٠٨هـ/١٢١١م كان ينسخ المصاحف بيده، ويعطيها لمن يراه أهلاً لها(١٦)، وصوفى آخر يشجع حملة القرآن، والعاكفين على قراءته بأن يدفع لهم ما يكسبه(١٧). كما كان هؤلاء الصوفية لا يفترون عن تلاوة القرآن(١٨). ومن الجهود الدينية الأخرى لمتصوفة المغرب الأقصى نشر الإسلام وتعليم شرائعه، وهذا ما قام به الصوفى أبو يحيى أبو بكر بن محيو الصنهاجى المتوفى بأغمات وريكة عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م فقد جاز إلى بلاد دكالةودخل جزائر بحر المغرب الأقصىولعله يقصد بها الجزر الخالدات(١٩)، ونفع

---

(١٤) التادلى : مصدر سابق ، ص ٤٠٢.

(١٥) المصدر السابق، ص ٤٠٠- ٤٠١.

(١٦) ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص ٢٧٢

ابن القاضى : مصدر سابق، جـ ١ ، ص ٢٢٠.

الكتانى : سلوة الأنفاس، جـ ٣ ، ص ١٧٤ .

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٨ ، ص ٢٠٥.

(١٧) التادلى : مصدر سابق، ص ٤٠٣.

(١٨) المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .

(١٩) انظر هامش لمحقق كتاب النشوف، ص ٤٠٣.

ا لله به خلقاً كثيراً حيث حدثوا عنه أنه قال : "وجدت فى جزائر بحر المغرب أقواماً لا يعرفون الإسلام فعلمت الرجال والنساء و لم أفارقهم حتى كانوا يصلون". كما دخل بلاد السودان زمن دولة مالى الإسلامية، ويبدو أنه كانت له نفس تلك الجهود فى نشر الإسلام حتى عاد إلى بلاده(٢٠) .

ثانيا : المتصوفة والحياة العلمية :

شارك صوفية المغرب الأقصى فى تنمية الحركة العلمية فى مجتمعهم زمن المرابطين والموحدين فقد حرصوا وهم فى بداية الطريق على السعى فى طلب العلم. فأجتهدوا فى التعلم حتى وصلوا إلى مكانة علمية مرموقة تشهد بها آثارهم العلمية وجهودهم الثقافية. وقد حثت مؤلفاتهم على طلب العلم بالإضافة إلى كتب المشارقة التى أثرت فى تصوفهم. فالغزالى على سبيل المثال يتحدث عن فضل العلم، ويذكر فى بداية حديثه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التى توضح فضل العلم(٢١) يذكر قوله تعالى : ﴿يرفع ا لله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾(٢٢) ، وقول الرسول صلى ا لله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم "(٢٣)، ثم يقول أيضاً فى فضل العلم : "العلم هو الدليل

---

(٢٠) المصدر السابق، ص٤١٠، ٤١١.

العباس بن إبراهيم : مصدرسابق، جـ ١، ص ٤٠٥.

(٢١) إحياء علوم الدين، جـ ١، ص ٦.

(٢٢) سورة المجادلة آية /١١.

(٢٣) إحياء علوم الدين ، جـ ١، ص ٩.

الأحاديث التى جاءت فى فضل العلم انظر :

البخارى : صحيحه، جـ ١ ، ص ٢٢-٤٥.

على الدين، ومنار سبيل الجنة، فهو حياة القلوب من العمى، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأبرار، به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه يعرف الحلال من الحرام"(٢٤). كما يذكر أن الإشتغال بالتعليم أفضل من الإشتغال بالأذكار وبالأوراد(٢٥).

وصوفية المغرب الأقصى أنفسهم أكدوا فى كتاباتهم، وأقوالهم على أهمية العلم فالصوفى ابن العريف الطنجى يتحدث عن فضل المعرفة موضحاً أهميتها فى العبادة ولسالك الطريق(٢٦) . أما قطب التصوف أبو مدين فيقول :"أضر الأشياء صوفى جاهل" فالصوفى الجاهل ليس بصوفى، والصوفى الجاهل ميل وانحراف(٢٧). ويقول أيضاً : "أنفع العلوم العلم بإحكام العبيد" يعنى أن أنفع العلوم العلم بالأحكام الشرعية. فمن استقام على كتاب الله وسنته اتضحت له سبل طريقته وتفتحت له عين بصيرته(٢٨). كما يذكر أيضاً "أرفع العلوم علم التوحيد"(٢٩). ويحث أيضاً على الأخذ بالعلوم الفقهية فيقول : "من اكتفى بالتعبد دون فقه خرج وابتدع"(٣٠). ويشجع أبو مدين على نشر العلم فيقول : "من سمع العلم ليعلم الناس أعطاه الله فيما يعرف به الناس"(٣١). وأخيراً قال أحد شيوخ

---

(٢٤) الغزالى : مصدر سابق، حـ ١ ، ص ١١.

(٢٥) المصدر السابق، حـ ١ ، ص ٣٤٩.

(٢٦) محاسن المجالس، ص ٧٥ .

(٢٧) شرح حكم أبى مدين، ص ١٠.

(٢٨) المصدر السابق ، ص ١٤.

(٢٩) المصدر السابق ، ص ١٥.

(٣٠) المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٣١) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

التصوف لمريد أراد أن يسلك الطريق" "إن الله لا يعبد إلا بالعلم"(٣٢). لذلك نجد حرص صوفية المغرب الأقصى على تلقى العلم، فنعتوا فى كتب الطبقات بأنهم من أهل العلم والعمل(٣٣)، وكان حرصهم على ذلك كبيراً.

١ - حرص الصوفية على تعلم العلم :

كان حرص صوفية المغرب الأقصى على التزود بالعلم أمراً ضرورياً لأن الله لا يعبد إلا بالعلم، كما أن أضر الأشياء كما قال أبو مدين : صوفى جاهل.

على أية حال فقد وجد منهم من تلقى العلم فى موطنه، ومنهم من اتجه إلى المشرق لهذا الغرض. ومن متصوفة المغرب الأقصى الذين تلقوا العلم فى موطنهم أبو محمد أبو الأمان الهسكورى المتوفى عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م، وقد درس الفقه وهو فى بداية الطريق على يد عبد العزيز التونسى (٣٤) بأغمات (٣٥). كما تفقه أبو محمد عبد الله بن زيرى الزناتى المتوفى عام ٥٧٦هـ / ١١٧١م على أبى موسى الرفروفى (٣٦). كما درس الفقه أيضاً أبو وكيل ميمون الوريكى على محرز

(٣٢) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٢٢.

(٣٣) المصدر السابق، صفحات ، ١٣٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٨، ١٦٦، ١٨٢، ١٨٥، ٢٢٢، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٦، ٢٦٧، ٣١٤، ٣٣٢.

(٣٤) أبو محمد عبد العزيز التونسى أصله من تونس واستقر بأغمات وبها مات عام ٤٨٦هـ / ١٠٩١م أخذ الفقه عن أبى عمران الفاسى، وأبى إسحاق التونسى ودرس الفقه. التادلى : مصدر سابق، ص ٩٢.

(٣٥) المصدر السابق ، ص ١٥٢.

(٣٦) المصدر السابق ، ص ١٩٢.

أبو موسى الرفروفى من بلاد تادلا، وبها مات كان من العلماء له رحلة إلى المشرق كان متفرغاً لتعليم العلم والعبادة. التادلى : مصدر سابق ، ص ١٠٨، ١٠٩ .

الصفاقسي(٣٧).أما الصوفي أبو أحمد محمد عبد الغفور بن يوسف الإيلاني المتوفى بأغمات عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م فقد تفقه على يد القاضي أبي يوسف حجاج بن يوسف(٣٨) . كما أخذ أبو عبد الله مالك بن مروان - من بلد ايلان وتوفي عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م - العلم بمراكش عن أبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير والإمام أبي بكر بن العربي(٣٩). أما الصوفي أبو علي سالم بن سلامة السوسي وهو من تارودانت، فقد سافر إلى مدينة فاس وبها درس الفقه على يد

---

(٣٧) المصدر السابق ، ص ١٩٣.

محرز الصفاقس نزل بأعمات وريكة كان من العلماء الأفاضل أخذ عنه أهل أعمات.

التادلي : مصدر سابق ، ص ١٦١.

(٣٨) التادلي : مصدر سابق ، ص ٢٥١، ٢٥٢.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٨ ، ص ٤٥٠.

القاضي أبو يوسف حجاج بن يوسف قاض الجماعة بمراكش أصله من ناحية بجاية، ودخل الأندلس وتوفي بمراكش سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٤.

انظر ابن الآبار : التكملة، جـ ١ ، ص ٢٧٩.

(٣٩) التادلي : مصدر سابق ، ص ٢٦٦.

يوسف بن موسى الكلبي الضرير أصله من سرقسطة سكن مراكش وبها توفي عام ٥٢٠هـ / ١١٢٥م من أئمة المغرب في علم الاعتقادات .

انظر التادلي : مصدر سابق ، ص ١٠٥، ١٠٦،

أبو بكر بن العربي له رحله حال ببلاد الشرق واخذ عن أبي الطاهر السلفي وغيره كما أخذ بمدينة فاس على ابن حرز هم الصوفي وجماعة كثيرة ألف في التصوف توفي عام ٦٣٦هـ/١٢٤٨م.

ابن القاضي : مصدر سابق ،جـ ١ ، ص ٢٨٠ ٢٨١.

محمد بن عيسى الهيلانى(٤٠)،واتجه إلى أغمات وتفقه أيضاً على يد ابن شبونة(٤١)، وكذلك عبد السلام بن وحال الجراوى واتجه أخيراً إلى سجلماسة واستوطنها، وبها توفى عام ٥٨٩/ ٥٩٠هـ/ ١١٩٢، ١١٩٣م(٤٢)، وأخيراً من المتصوفة الذين تلقوا العلم فى موطنهم أبو محمد يسكر بن موسى الجراوى الذى نشأ بتادلا، ونزل مدينة فاس وتفقه بها على أبى خزر(٤٣)، وحضر مجالس أبى الربيع التلمسانى وتوفى بفاس عام ٥٩٨هـ / ١٢٠١م(٤٤).

وهناك من متصوفة المغرب الأقصى من شد الرحال إلى المشرق لتلقى العلم، ومن أمثلة ذلك الصوفى أبو جبل يعلى، وهو من أهل فاس وبها توفى عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٨م فقد سافر إلى مصر وحضر مجالس أبى الفضل عبد الله بن حسن الجوهرى الذى كان يعظ، ويفقه الناس فى جامع عمرو بن العاص، وكان

---

(٤٠) على بن محمد عيسى الهيلانى من حفاظ مذهب مالك كان مشاوراً بفاس أيام المربطين. انظر : ابن الأبار : التكملة، ص ٩٣١.

(٤١) ابن شبونة : هو عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدى أحد حفاظ مذهب مالك كان مدرسا ومفتيا فى أغمات وبها توفى سنة ٥٣٧ هـ/١١٤٢م. انظر: ابن الأبار : معجم أصحاب الصدفى ، ص ٢١٤.

(٤٢) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٨٣ .

(٤٣) هو يخلف بن خزر الأوربى الفاسى كان حافظاً للمسائل ورعاً صالحاً توفى عام ٥٧٢هـ / ١١٧٤م. انظر : أحمد بابا : نيل الإبتهاج، ص ٦٣٩.

ابن القاضى : مصدر سابق ،جـ ٢، ص ٥٦١.

(٤٤) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٤٠، ابن القاضى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٦٠.

قبل سفره يجلس فى المسجد إلى حلقة الفقه والذكر(٤٥). كما سافر أبو موسى عيسى بن سليمان الرفروفى وهو من بلاد تادلا إلى المشرق، وأخذ عن الشاشى(٤٦)، وعن الطرطوشى(٤٧)، وغيرهما، وبعد ذلك عاد لوطنه وتفرغ لتعليم العلم والعبادة(٤٨). كما رحل إلى المدينة المنورة وتفقه بها أبو الحسن على ابن أحمد بن يوسف من بلد تادلا، وتوفى بها عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م(٤٩).

٢ - الدور العلمى لمتصوفة المغرب الأقصى وأهم العلوم التى نبغوا فيها:

لقد ازدهرت الحياة العلمية فى المغرب الأقصى بفضل جهود هؤلاء المتصوفة الذين برعوا فى كافة فروع العلوم الدينية من قراءات، وحديث، وعقيدة، وفقه، وتصوف. كما كان هناك من نظم الشعر الصوفى مما كان له أكبر الأثر فى ازدهار الأدب بالإضافة إلى ذلك قام هؤلاء المتصوفة بجهد تعليمى فى المكاتب الخاصة بتعليم الأطفال.

---

(٤٥) التادلى : مصدر سابق، ص ١٠٢، ١٠٣.

الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٦٢.

ابن القاضى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٦٠.

(٤٦) الشاشى هو أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بالمستظهرى، فقيه شافعى درس بالنظامية إلى حين وفاته سنة ٥٠٧هـ / ١١١٢م.

انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢١٩.

(٤٧) الطرطوشى هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الأندلسى المالكى نزيل الأسكندرية وأحد الأئمة الكبار توفى عام ٥٢٠هـ / ١١٢٥م .

انظر الذهبى : العبر فى خبر من غبر، جـ ٤ ، ص ٤٨.

(٤٨) التادلى : مصدر سابق، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٤٩) المصدر السابق ، ص ٢٣٩.

أولاً : علوم القرآن الكريم :

يعتبر أبو العباس بن العريف الصنهاجي المتوفى عام ٥٣٦هـ / ١١٤١م من القراء المجدين(٥٠) إذ كانت له عناية في القراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها(٥١).

وهناك أيضاً الصوفي أبو واجاج عفان بن إسماعيل المطماطي، وأصله من تامسنا واستقر بالجانب الشرقي من مراكش وبه مات عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م كان من أئمة العلم بالقرآن الكريم، وكان أكثر جلوسه بمسجد بئر الجنة، ومن أراد من المصامدة أن يجود عليه القرآن قصده(٥٢).

ثانياً : علم الأصول والعقيدة :

يعد الصوفي أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير- أصله من سرقسطة ثم انتقل إلى العدوه وسكن مراكش وبها توفي سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٥م - من أهل التبحر والتقدم في علم التوحيد والاعتقاد(٥٣)، وهو آخر أئمة المغرب

---

(٥٠) العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٢ ، ص ٩.

(٥١)ابن خلكان : مصدرسابق، جـ١، ص١٦٩ .

العمادالحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص١١٢.

العباس إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٢٢ ، ص ٦.

(٥٢) التادلي : مصدر سابق، ص ٤٠٧.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٥ ، ص ١٤٨.

(٥٣) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٦٦٤.

ابن الفرضي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، مجريط ١٨٨٤ ، ص٤٧٧.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ١٠، ص ٣٠٨.

فيما أخذه عن أبى بكر محمد بن الحسن الحضرمى المعروف بالمرادى(٥٤) من علوم الأعتقادات، وكان مختصاً بها، والمرادى هو أول من أدخل علوم الاعتقاد بالمغرب الأقصى(٥٥).

أما الصوفى أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاجى - الذى قدم مراكش واستوطن فاس وتوفى بها عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م - فهو إمام أهل المغرب فى علم الاعتقاد، وقد قرأ كتاب الإرشاد فى العقيدة على يد أبى الحسن على بن أحمد اللخمى المعروف بابن الإشبيلى(٥٦) الذى كان له بصر وخبرة بكتاب الإرشاد وقام أبو عمرو بتعليم العلم فى فاس محتسباً(٥٧).

ومن علماء علم الاعتقاد من متصوفة المغرب الأقصى أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجى الأزمورى المتوفى عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م(٥٨). كما كان أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن العطار الفاسى المتوفى عام ٦٠٤هـ /

---

(٥٤) أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمى المرادى أصله من القيروان ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٤م من الفقهاء الأصوليين.

انظر : العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ١٢.

(٥٥) التادلى : مصدر سابق، ص ١٠٦.

(٥٦) ابن الأشبيلى على بن محمد خليل كان حافظاً للفقه نافذاً على أصوله قدم من المرية على الموحدين ونال عندهم حظوه سكن مراكش وبها مات ٥٦٧هـ / ١١٧١م .

انظر : ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ، جـ ٥ ، ص ٣٠٤.

ابن القاضى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٤٧٩، ٤٨٠.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، جـ ٩ ، ص ٥٩.

(٥٧) التادلى : مصدر سابق، ص ١٩٨.

ابن القاضى : مصدر سابق ، ص ٤٥٨.

(٥٨) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣١٤.

١٢٠٧م عارفاً بالأصلين "أصول الدين وأصول الفقه"(٥٩)، وعارفاً بعلوم الاعتقادات(٦٠).

ثالثاً : علم الحديث :

يعد الشيخ الفقيه على أبو الحسن على بن غالب من علماء الحديث فقد قرأ عليه الشيخ أبو مدين أثناء إقامته فى مدينة فاس كتاب السنن لأبى عيسى الترمذى(٦١). كما كان الصوفى على بن إسماعيل بن حرزهم الفاسى عارفاً بالحديث(٦٢). أما الصوفى القطب أبو مدين فقد كان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصاً جامع الترمذى الذى كان قائماً عليه(٦٣).كما كان أبو الصبرايوب بن عبد الله الفهرى محدثاً راوية(٦٤).

رابعاً : الفقـــه :

اشتهر عدد كبير من متصوفة المغرب الأقصى بأنهم فقهاء.فالفقه من العلوم الشرعية التى سعوا إلى دراستها لأن من اكتفى بالتعبد دون فقه خرج وابتدع.وجدير بالذكر أن هؤلاء المتصوفة كانوا على الفقه المالكى الذى انتشر فى سائر أنحاء المغرب وساد. ويرجع ذلك إلى بساطة المجتمع المغربى فليس من شأن

---

(٥٩) السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات النحويين واللغاة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٥، جـ ٢ ، ص ٢٠٣.

(٦٠) التادلى : مصدر سابق ، ص ٤٣٥.

(٦١) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٢٢. ابن قنفذ : مصدر سابق، ص ١٤.

(٦٢) ابن القاضى : مصدر سابق ،جـ ٢ ، ص ٤٦٤.

(٦٣) ابن مريم : البستان، ص ١٠٨.

(٦٤) ابن القاضى : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٦٨.

المذهب المالكى استخدام الرأى أما القياس ففى آخر درجة، وأما الكتاب والسنة فهما أساس المذهب على عكس مذهب أبى حنيفة الذى يسلك طريق الجدل والرأى واستخدام العقل ولا يسلم بشيء حتى يسلمه العقل. كما كان مسلمو المغرب وطلبتهم على الأخص ينظرون إلى علم المدينة وعلمائها نظرة من يتمثل فيها وفيهم رمز الإسلام(٦٥).

أما صوفية المغرب الأقصى الذين تفقهوا حسب المذهب المالكى فمنهم الفقيه لقمان السايوى وهو من هسكورة وكان فقيها جليل القدر(٦٦). كما كان الصوفى أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان المتوفى عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م فقيهاً درس الفقه للناس ثلاثين سنة محتسباً مع شدة فقره وفاقته(٦٧).

أما الصوفى على بن إسماعيل بن محمد بن حرزهم الفاسى المتوفى عام ٥٥٩هـ / ١١٦٣م، فقد كان فقيهاً حافظاً للفقه(٦٨)، كما كان يقوم بإقراء العلم وتدريسه ولذلك استدعاه أحد أمراء صنهاجة للقراءة عليه والأخذ منه(٦٩). كما نعت الصوفى أبو تونارت وجلوط الايلانى بأنه من أهل الفقه(٧٠) ومن فقهاء مدينة

---

(٦٥) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، جـ ١ ، ص ١٧٩.

(٦٦) التادلى : مصدر سابق ، ص ١١٣.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٢٧٤.

(٦٧) المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٩.

(٦٨) المصدر السابق، ص ١٦٨، ١٦٩.

ابن القاضى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٤٦٤.

(٦٩) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٢.

(٧٠) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٦٤.

مجهول : كتاب فى ذكر مشاهير اعيان فاس ، تحقيق عبد القادر زمامة، مجلة البحث العلمى بالرباط، العددان الرابع والخامس، يناير ١٩٦٥، ص ٨٢، ٨٣.

فاس على بن خلف بن محمد غالب المتوفى عام ٥٦٩هـ / ١١٧٢م(٧١)، والصوفى يخلف بن خزر الأوربى المتوفى عام ٥٧٢هـ / ١١٧٦م الذى كان فقيهاً مدرساً مفتياً إماماً حافظاً لمسائل المذهب(٧٢). ومن كبار فقهاء المغرب الأقصى الصوفى أبو محمديرزجان بن محمد الجزولى الذى كان بصيرا بمذهب الإمام مالك بن أنس وقد أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن ياسين فقيه المصامدة(٧٣). وقام الصوفى أبو على يغمور بن خالد بتدريس الفقه(٧٤).

أما الصوفى أبو على عمر بن عمران السمائلى فقد كان من كبار المشايخ وفقيهاً(٧٥)، وبلغت منزلة الصوفى شعيب بن الحسن الأندلسى أبو مدين المتوفى ٥٩٠هـ / ١١٩٢م فى الفقه منزلة كبيرة فقد كانت ترد عليه المسائل فى مذهب مالك فيجيب عنها(٧٦). وأخيراً من المتصوفة الذين تفقهوا وارتفعت مكانتهم فى الفقه فقيه مدينة فاس أبو محمد يسكر بن موسى الجوارئى المتوفى عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م والذى كان إماماً عالماً فى الفقه المالكى، أخذ عن أبى خزر يخلف الأوربى وكان آية فى الفقه(٧٧).

---

(٧١) ابن القاضى : مصدر سابق ، حـ ٢ ، ص ٤٦٨.

(٧٢) التادلى:مصدر سابق ، ص ١٧٧. ابن القاضى:مصدر سابق، حـ ٢ ، ص ٥٦١.

(٧٣) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٦٧.

(٧٤) المصدر السابق ، ص ٢٨٦. مجهول : مفاخر البربر ، ص ٧٠.

(٧٥) التادلى : مصدر سابق ، ص ٣٧٤.

(٧٦) ابن مريم : مصدر سابق ، ص ١٠٨. ابن قنفذ: مصدر سابق ، ص ١٦ – ١٧.

(٧٧) مجهول : كتاب ذكر مشاهير اعيان فاس، ص ٨٢.

ابن قنفذ : مصدر سابق، ص ٢٣.

ابن القاضى : مصدر سابق، حـ ٢ ، ص ٥٦٢ ، ٥٦٣.

على أية حال كان علم الفقه على أساس المذهب المالكى من العلوم الشرعية التى اهتم صوفية المغرب الأقصى بدراستها حتى أصبحوا فقهاء ومدرسين للفقه على أساس هذا المذهب.

علم التصوف :

وجد عدد من متصوفة المغرب الأقصى كان لهم دراية كبيرة بعلم التصوف حتى ألفوا فيه الكتب، والمثال على ذلك هو الصوفى أبو العباس بن العريف المتوفى عام ٥٣٦هـ / ١١٤١م صاحب كتاب محاسن المجالس فى علم التصوف. كما كان له غيره من الكتب المتعلقة بطريقة القوم(٧٨). وممن ألف أيضاً فى علم التصوف أبو مدين المتوفى عام ٥٩٠هـ / ١١٩٢م ، فقد ألف فيه كتاب بعنوان "أنس الوحيد ونزهة المريد"(٧٩) ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التصوف فى هذه البلاد.

ومن علماء التصوف أيضاً أبو عبد الله الدقاق السجلماسى وكان من كبار مشائخ الصوفية وكان يقول أنا أول من أخذ عنه أبو مدين علم التصوف، وكان الدقاق إماماً فى ذلك(٨٠). كما كان أبو محمد عبد الله بن عثمان الصنهاجى -

---

(٧٨) ابن عربى : الفتوحات المكية، حـ ٢ ، ص ٩٢.

ابن خلكان : وفيات الاعيان ، حـ ١ ، ص ١٦٩.

(٧٩) انظر شرح كتاب العارف بالله تعالى أبى مدين للعلامة شهاب الدين أحمد عبد القادر ، القاهرة ١٢٩٧هـ .

(٨٠) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٢٧. الكتانى : مصدر سابق ،حـ ٣ ، ص ١٠٣.

Bel : Sidi Bau Medyan et son Meitre El Daggag a Fes, dans Melonges R. Basset, Paris 1923, T1, P31.

المعروف بالزرهونى المتوفى بمراكش عام ٦١٢هـ / ١٢٥٢م – من العلماء بطريق التصوف حافظاً لأخبار الصالحين(٨١).

المتصوفة والشعر الصوفى :

كان لبعض صوفية المغرب الأقصى منظوم محفوظ فى معانى التصوف. وقد لجأوا إلى نظم الشعر لتحريك وجدانهم الدينى، والمعانى التى قصد إليها الشعر الصوفى كانت صوفية مهما كان الثوب المادى الذى كسيت به(٨٢). وكان إنشادهم ارتجالاً سريعاً فى مجالس الذكر(٨٣). وقد حفظت لنا المصادر العديد من هذه المقتطفات الشعرية لهؤلاء المتصوفة من هذا المحصول الأدبى الرائع حتى لا تضيع سدى ولا ينتفع بها أهل التصوف ورجال الأدب فى عصرهم وفى العصور التى تليهم.

ومن المتصوفة الذين أنشدوا الشعر الصوفى ابن العريف الذى كان له نظم حسن فى طريق التصوف(٨٤) حتى وصفه ابن عربى بأنه أديب زمانه(٨٥). وقد تعددت الأغراض التى تناولها فى شعره.

من هذه الأغراض حب أهل الطريق ، يتمثل ذلك فى قوله :

مازلت مذ سكنوا قلبى أصون لهم   لحظى وسمعى ونطقى إذ هم أنسى

---

(٨١) التادلى : مصدر سابق، ص ٤٢٤.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ،جـ ٨ ، ص ٢١١.

(٨٢) Nichelson, R. : Art Sufis in the Ency of Religion and Ethics

(٨٣) أحمد عبد المنعم عبد السلام : السمو الروحي فى الأدب الصوفى، طبع مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٤٩، ص ٨.

(٨٤) ابن خلكان : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٨٥) الفتوحات المكية ، جـ ٣ ، ص ٣٨٥.

حلوا الفؤاد فما أندى ولو وطئوا صخراً لجاد بماء منه منبجس
لأنهضن إلى حشرى بحبهم لا بارك الله فيمن خانهم فنسى(٨٦)

ومن شعره يعظ بعض إخوانه فى أبيات له :

إذا ذكر المولى تنسم قلبه وإذا غلبته النفس كاد يذوب
أبى الله أن تدرى ذخائره التى إلى شعبهم من السماء تصوب
هم حسنات الدهر عند كماله ولكنهم عند الأنام ذنوب
محبتهم فرض ورؤيتهم هدى وللذين منهم ألسن وقلوب(٨٧)

ومن شعراء التصوف أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الهوارى من أهل أغمات وريكة ، وبها توفى عام ٥٤٠هـ م ١١٤٥م وله شعر فى مقام التوكل وهو اعتماد القلب على الله تعالى ، ويساعدهم على التوكل قوة يقينهم بالله تعالى(٨٨).

ومن شعره فى مقام التوكل :

تعاتبنى فى الجود والجود شيمتى ومالى بإبدال الطباع زعيم
ولم أر مثل الجود أما حديثه فحلو وأما حبه فقديم
وكيف يخاف الفقر أو يحرم الغنى كريم ورب العالمين كريم(٨٩)

---

(٨٦) التادلى : مصدر سابق ، ص ١١٨، ١١٩.
ابن الآبار : معجم أصحاب الصدفى ، ص ١٨.
(٨٧) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٢٢، ١٢٣.
(٨٨) الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق محمود أمين النواوى، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثالثة ، للقاهرة ١٩٩٢، ص ١١٩، ١٢٠.
(٨٩) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٥٣.

ومن أغراض الشعر التى تناولها صوفية المغرب الأقصى الحب الإلهى فقد نظم أبو زكريا يحيى بن على الزواوى المتوفى عام ٦١٠هـ/١٢١٣م فى الحب الإلهى يقول:

ودع الهوى يقضى عليه بحكمه ما شاء فهـو مسلم لقضائه

فشقاؤه فيما تراه نعيمه ونعيمه فى ذاك غير شقائه

كحلت مآقيه بطول سهاده وحنت أضالعه على برحائه(٩٠)

ونظم أيضاً أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمى الواعظ المتوفى ٦١٤هـ / ١٢١٧م فى الحب الإلهى يقول :

غريب الوصف ذو علم غريب عليل القلب من حب الحبيب

إذا ما الليل أظلم قام يبكى ويشكو ما يكن من الوجيب

يقطع ليله ذكراً وفكراً وينطق فيه بالعجب العجيب

به من حب سيده غرام يجل عن التطيب والطيب

ومن يك هكذا عبداً محباً يطيب ترابه من غير طيب(٩١)

أما أبو العباس السبتى المتوفى عام ٦٠١هـ / ١٢٤٠م فله نظم فى مقام الخوف من الله عز وجل يقول فيه :

رفعوا الأنامل للصلاة وكبروا فبدا الخشوع لخوفهم يترنم

وبدأت سواكب دمعهم مسيولة خوفاً لما قدأخروا أوقدموا(٩٢)

ولأبى العباس السبتى أيضاً نظم فى مقام الشوق والخوف من الله(٩٣).

---

(٩٠) المصدر السابق ، ص ٤٢٨.

(٩١) المصدر السابق ، ص ٤٤٠.

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٤٦٣.

(٩٣) المصدر السابق ، ص ٤٦٤.

ومن أغراض الشعر الأخرى لدى صوفية المغرب الأقصى فى فصل العلم، من ذلك ما نظمه الصوفى أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجى المتوفى عام ٥٦٤هـ / ١١٦٨م قصيدة بين فضل العلم بالكتاب، والسنة(٩٤)، ولأبى مدين نظم فى مقام التوبة والعودة إلى الله(٩٥). كما كان رثاء إخوان الطريق من اغراض الشعر الصوفى فقد قام الصوفى أبو يعقوب يوسف بن أحمد الأنصارى برثاء أبى العباس السبتى(٩٦).

ومن المتصوفة الذين كان لهم منظوم فى معانى التصوف أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن العطار المتوفى عام ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م(٩٧). كما اشتهر أبو الصبر أيوب الفهرى المتوفى عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م بأنه شاعر صوفى(٩٨).

على أية حال فقد تنوعت أغراض الشعر الصوفى إذ تناول موضوعات عديدة منها الحب الإلهى وأحوال القوم على تبيان مقاماتها والوعظ والإرشاد وغير ذلك من الأغراض التى سبقت الإشارة إليها.

٣ - المتصوفة والتعليم :

كان لمتصوفة المغرب الأقصى دور تعليمى داخل المجتمع فكان لواجاج بن زلوا اللمطى من أهل السوس الأقصى دار بناها سماها دار المرابطين لطلبة العلم وقراءة القرآن(٩٩). ولمكانتهم العلمية كان أفراد المجتمع يأخذون عنهم العلم

---

(٩٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٠.

(٩٥) المصدر السابق ، ص ٣٣٤.

(٩٦) المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣.

(٩٧) المصدر السابق ، ص ٤٣٥، ٤٣٦.

(٩٨) ابن القاضى : جذوة الأقتباس ، جـ ١ ، ص ١٦٨.

(٩٩) التادلى : مصدر سابق ، ص٨٩.

فالصوفى على بن اسماعيل بن حرزهم كان يقصده الناس من البلدان المختلفة للقراءة عليه(١٠٠). فقد لازمه أبومدين وقرأ عليه(١٠١). كما أخذ عنه عبد الحميد بن صالح الهسكورى(١٠٢). وقد استدعاه بعض أمراء صنهاجة للقراءةعليه والأخذ عنه(١٠٣).

وكان أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهرى يجلس بجامع سبتة لتدريس العلم(١٠٤).

أما الحسن بن غالب وهو من فقهاء فاس كان يقوم بإقراء العلم بها وقد قرأ عليه أبو مدين (١٠٥). وكان أيضاً أبو خزر يخلف الأوربى من فقهاء فاس وكان عالماً وقد درس على يده يسكر بن موسى الجورائى الفقه المالكى(١٠٦).

وكان هؤلاء المتصوفة يتميزون بالأمانة العلمية إذ كانوا لا يقومون بإقراء العلوم أو إسماعها إلا إذا كانت الأصول موجودة يوضح ذلك أن الصوفى أبا عبد الله محمد بن إبراهيم المهدوى نزيل مدينة فاس وبها توفى عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م طلب منه أحد الطلاب أن يحمل ما يحمله من العلوم ويتعلم على يديه ما عنده من علوم فأبي وقال له : "لقد ضاعت أصولى فلا يحل لى أن يحمل عنى شيء"(١٠٧).

---

(١٠٠) ابن القاضى : مصدر سابق ، جـ٢، ص٤٦٤.

(١٠١) ابن مريم : البستان، ص١٠٨.

(١٠٢) ابن القاضى : مصدر سابق ، جـ٢، ص٣٨٧.

(١٠٣) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص٢٠.

ابن القاضى : مصدر سابق، جـ٢، ص٤٦٤.

(١٠٣) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٦٨.

(١٠٥) ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٢٦.

(١٠٦) ابن القاضى : مصدر سابق، جـ ٢ ،ص ٢٦٢.

(١٠٧) التادلى : مصدر سابق، ص ٣٣٣.

المتصوفة والتعليم فى المكاتب :

تعد المكاتب من أهم المنشآت التعليمية التى اختصت بتعليم الصبيان لأن الرسول أمر بتنزيه المساجد منهم(١٠٨). وقد أسهم متصوفة المغرب الأقصى إسهاماً كبيراً فى التعليم فى مكاتب الأطفال حتى أصبح لهم دور تعليمى هام داخل مجتمعهم. منهم أبو يحيي أبو بكر الورياغلى المعلم وهو من أهل سلا، وكان معلماً للقرآن الكريم(١٠٩). كما كان الصوفى أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى من بلد أزمور وتوفى عام ٥٦١هـ / ١١٦٥م فى ابتداء أمره معلماً للقرآن بقرية يليسكاون من بلد دكالة وكان يظل واقفاً متكئاً على عصاه، ولا يقعد حتى وقت انصراف الصبيان من المكتب(١١٠).

أما الصوفى أبو عبد الله التاودى المعلم - وهو من أهل فاس وبها توفى عام ٥٨٠هـ / ١١٩٣م - كان يعلم الصبيان فى مكتبه، وكان أولاد الفقراء يتعلمون عنده بالمجان ولا يأخذ الأجر إلا من أولاد الأغنياء(١١١). كما قام بتعليم الصبيان

---

(١٠٨) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، نشر السيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٤٦، ص ١٠٣.

(١٠٩) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٨٤.

(١١٠) الصومعى : المعزى ، مخطوطة ، ورقة ١١.

العباس بن إبراهيم : مصدر سابق ، حـ ١، ص ٣٩٦.

(١١١) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٧٢.

ابن قنفذ : مصدر سابق ، ص ٣٠.

السلاوى : مصدر سابق ، حـ ٢ ، ص ١٨٨.

الكتانى : مصدر سابق ، حـ ٣، ص ١١٠!.

أيضاً الصوفى أبو عبد الله محمد بن الأمان الجزولى المعلم، وهو من أهل مراكش، وكان يملك مكتباً لتعليم الأطفال(١١٢).

ولم يقتصر دورهم على تعليم القرآن فى المكاتب بل كانوا يقومون بتلبية مطالب الأباء بتعليم أبنائهم علوماً أخرى فقد طلب أحد أرباب الدولة الصوفى أبا عمرو عثمان بن عبد الله السلاجى ليقوم بتعليم أبنائه النحو(١١٣).

وهكذا كان لمتصوفة المغرب الأقصى دوراً واضحاً فى النواحى العلمية والتعليمية.

---

(١١٢) التادلى : مصدر سابق ، ص ٢٨٩، ٢٩٠.
العباس بن إبراهيم : مصدر سابق، حـ ٤ ، ص ٢٧٤.
ابن الموقت : مصدر سابق ، حـ٢ ، ص ١١٨.

(١١٣) التادلى : مصدر سابق ، ص ١٩٩.



الخاتمة

تعرضت هذه الدراسة لدور المتصوفة فى المغرب الأقصى فى عصرى المرابطين والموحدين، وقد تمخضت هذه الدراسة عن بعض النتائج.

أولاً : اتضح أن التأثير المشرقى كان له دور كبير فى ازدهار التصوف فى المغرب الأقصى فقد وصلت إلى متصوفيه مؤلفات المحاسبى وأبى طالب المكى، وأبى بكر المطوعى، وأبى حامد الغزالى، والقشيرى، وأثرت فيهم. كما رحل عدد من متصوفة المغرب الأقصى إلى المشرق فالتقوا مع صوفيته واطلعوا على مؤلفات التصوف هناك كما نقلوا إلى بلادهم مذهب الملامتيه الذى ظهر فى نيسابور، وأخذ بهذا المذهب بعض متصوفة المغرب الأقصى.

ثانياً : أسهمت ظروف المغرب الأقصى الداخلية فى نمو حركة التصوف داخل المجتمع. فقد كان الشعور الدينى عميقاً لدى سكانه فى عصرى المرابطين والموحدين كما كان حكام الدولتين مثالاً لرعاياهم فى الزهد والتقشف وشدة التدين بالإضافة إلى انتشار الربط فى كل أرجاء المغرب الأقصى، وأخيراً قيام بعض صوفيته بوضع مؤلفات صوفية لتكون بين يدى إخوانهم فى الطريق.

ثالثاً : ارتفعت منزلة صوفية المغرب الأقصى عند الحكام بسبب مكانتهم الشعبية لكن بعض الصوفية تعرضوا للمضايقات من جانب الحكام بسبب سعى الفقهاء بهم.

رابعاً : قام المتصوفة بدور المعارضة حين تصدوا للسياسات الجائرة للحكام وعمالهم. كما استغلوا علاقتهم الطيبة بالحكام وتشفعوا عندهم لأفراد الشعب .

خامساً : كان بعض المتصوفة سلبيين حين رفضوا تولى بعض المناصب الدينية التى عرضت عليهم فقد آثروا البعد و لم يسهموا فى شئون الحكم بتولى المناصب التى تتفق مع تدينهم وثقافتهم.

سادساً : شارك أغلب المتصوفة بإيجابية فى أهم أحداث عصرهم الحربية مع المجاهدين فى معركتى الأرك، والعقاب ضد أعداء الإسلام فى الأندلس دفاعاً عن دينهم ووطنهم.

سابعاً : انتشر التصوف فى كل البيئات الجغرافية للمغرب الأقصى. كما انضم إلى طريق التصوف أفراد انتسبوا إلى معظم القبائل البربرية سواء أكانت بترية أم برنسية وأفراد من القبائل العربية التى استوطنت المغرب الأقصى.

ثامناً : شمل التصوف أفراداً من كل الطبقات الإجتماعية ومن مختلف الأعمار ومن الجنسين كما وجدت عائلات انضوت تحت طريق التصوف.

تاسعاً : أوضحت الدراسة الدور الأجتماعى للمتصوفة فى مجال الرعاية الإجتماعية والتكافل حين أسهموا فى التخفيف عن الشعب فى المجاعات التى ألمت بالمجتمع وحين سعوا فى مصالح الضعفاء.

عاشراً : كان للمتصوفة دور فى دفع مجتمعهم للتمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة واتباع الفضيلة فقد كانوا القدوة لرعاياهم.

حادى عشر : تلقب المتصوفة بألقاب مأخوذة من مهن كانت لهم مثل القصاب، الخراز، والحلاج، والوثاق أى كاتب الوثائق، والقدار أى صانع القدور مما يؤكد أن المتصوفة عملوا فى مختلف الحرف، ومارسوا كل أوجه النشاط الاقتصادى فالعمل عندهم واجب شرعى والتدين الصحيح ألا تصرف العبادات المرء عن طلب الرزق، وبهذا المعنى كافحوا البطالة فى مجتمعهم.

ثانى عشر : احتل الدين أهمية كبيرة فى سلوك المتصوفة وتتجلى الروح الدينية عندهم فى الأهتمام ببناء المساجد التى احتلت مكانة كبيرة عند المسلمين لما لها من أهمية دينية، وأهمية ثقافية كبيرة كما تولوا القيام بالوظائف الخاصة بالمساجد.

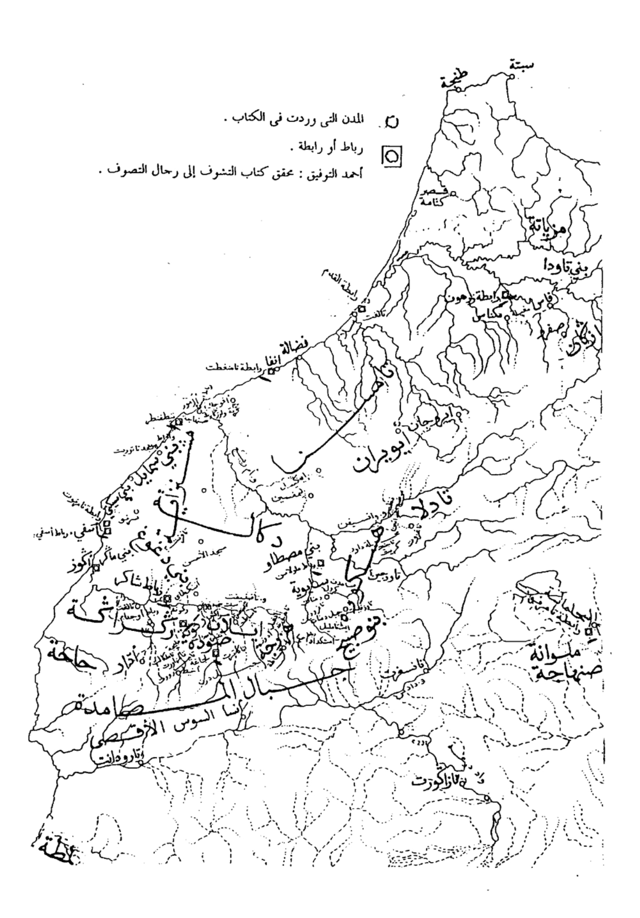
ثالث عشر : العلم عند المتصوفة عبادة تقربهم من الله ولذلك ارتفعت مكانتهم فى جميع فروع العلم الإسلامى من قراءات وعقائد وحديث وفقه وتصوف.

رابع عشر : المذهب المالكى هو مذهب متصوفة المغرب الأقصى وهناك عدد كبير منهم كانوا فقهاء فى هذا المذهب وقاموا بتدريس الفقه المالكى الذى ساد فى بلاد المغرب.

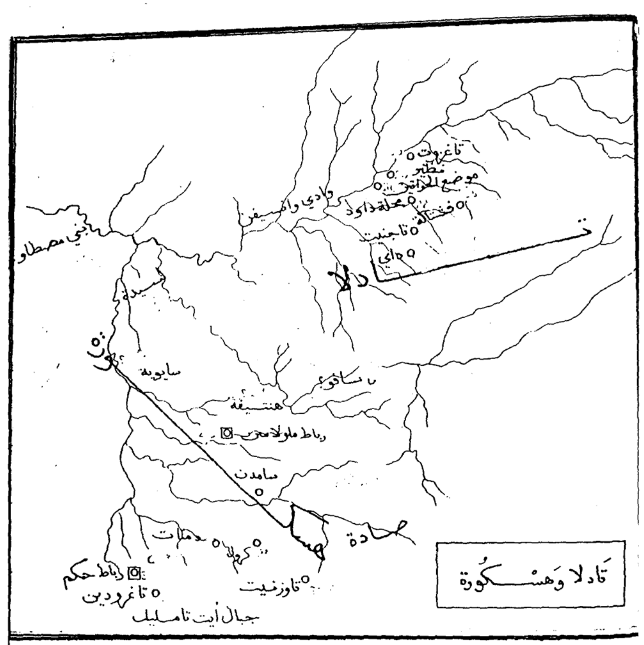
خامس عشر : قام بعض متصوفة المغرب الأقصى بنظم الشعر فى معانى التصوف، وتعددت أغراضه وشملت اثبات مقامات الصوفية وإظهار الحب الإلهى.

سادس عشر : أسهم المتصوفة فى النشاط التعليمى فى مجتمعهم، وشاركوا بجهد كبير فى تعليم الصبيان فى المكاتب بالإضافة إلى دورهم فى تدريس العلم فى المساجد.

وقصارى القول فإننا نأمل أن تكون هذه الدراسة قد ألقت ضوءاً على الدور السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى لمتصوفة المغرب الأقصى فى وطنهم فى عصرى المرابطين والموحدين.



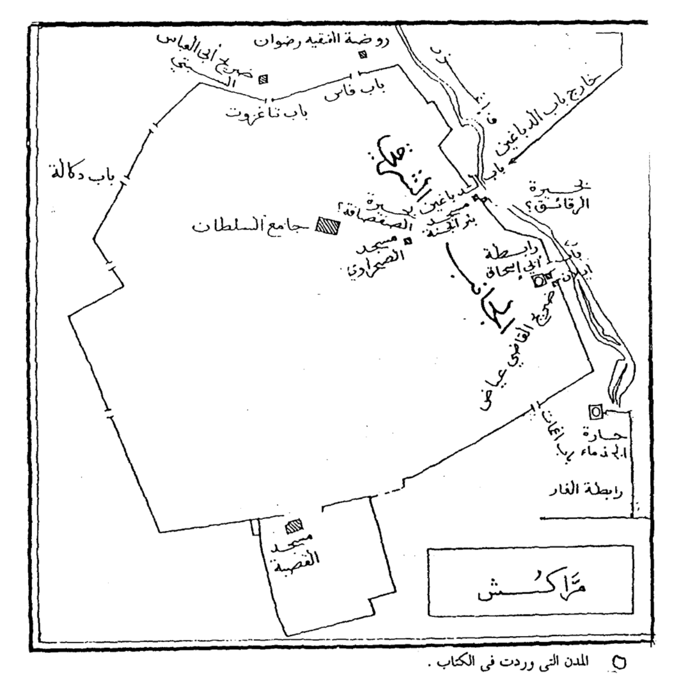
المدن التى وردت فى الكتاب .
رباط أو رابطة .
أحمد التوفيق : محقق كتاب التشوف إلى رجال التصوف .
سبتة
طنجة
قصر كتامة
مزياتة
بني تاودا
فاس
مكناس
صفرو
رابطة تاسغطت
فضالة
انفا
أيوبران
تادلا
دكالة
بني مصطاو
حاحة
جبال المصامدة
السوس الأقصى
تارودانت
ملوانة
صنهاجة



○ المدن التي وردت في الكتاب .

◫ رباط أو رابطة .

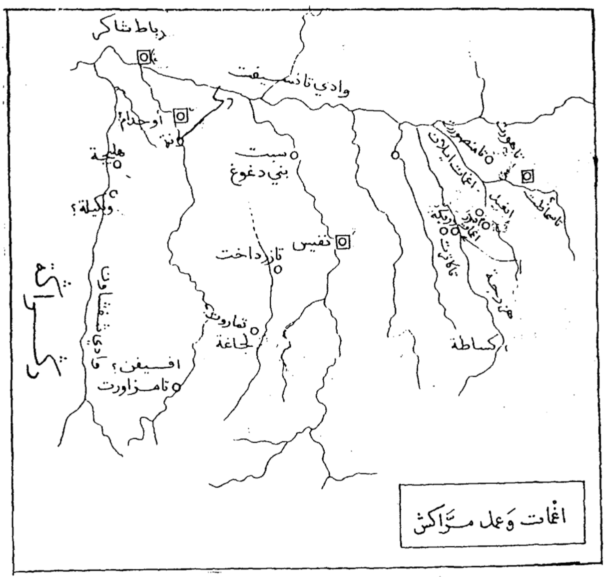
أحمد التوفيق : محقق كتاب التشوف إلى رجال التصوف .



المدن التى وردت فى الكتاب .

رباط أو رابطة .

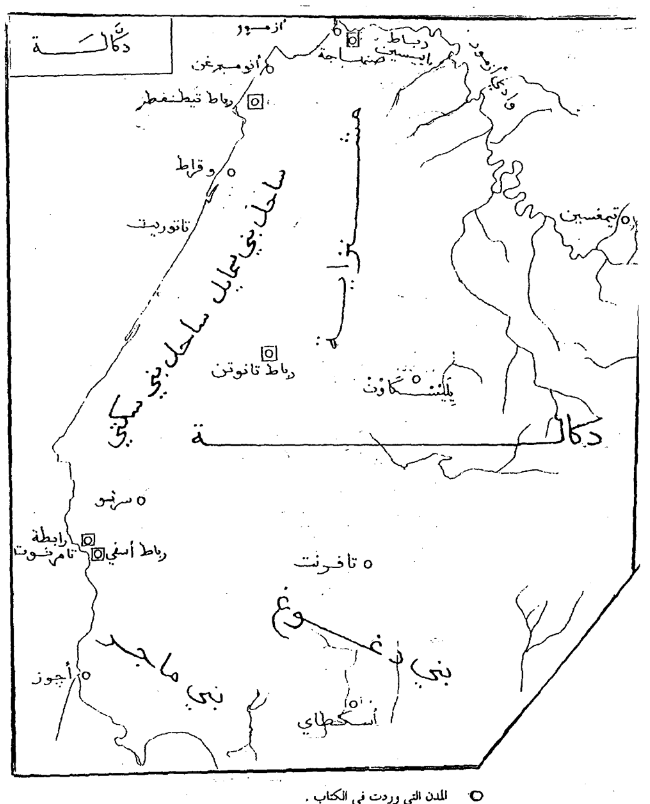
أحمد التوفيق : محقق كتاب التشوف إلى رجال التصوف



المدن التي وردت في الكتاب .

رباط أو رابطة .

أحمد التوفيق : محقق كتاب التشوف إلى رجال التصوف .



المدن التي وردت في الكتاب .

رباط أو رابطة .

أحمد التوفيق : محقق كتاب التشوق إلى رجال التصوف .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : مصادر التشريع الإسلامى :

القرآن الكريم .

البخارى : (أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم توفى ٢٥٦هـ / ٨٦٩م).

- صحيح البخارى، تقديم أحمد محمد شاكر،بيروت بدون تايخ.

مسلم : (الإمام أبى الحسين مسلم النيسابورى توفى ٢٦١هـ / ٨٧٤م).

- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، بيروت بدون تاريخ.

ثانياً : المخطوطات :

الصومعى : (أبو العباس) .

- المعزى فى أخبار ومناقب الشيخ أبى يعزى، مخطوطة بدار الكتب المصرية، الرمز تاريخ تيمور ١٢٤٩، ميكرو فيلم٢٧٧٠٣٢.

العينى : (بدر الدين أبى محمود بن محمد ٧٦٢ - ٨٥٥هـ / ١٣٧٠ - ١٤٥١م).

- عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوطة بدار الكتب المصرية الرمز تاريخ ١٥٨٤، الجزء العشرين، القسم الرابع، ميكرو فيلم ٣٥٨١٣.

ثالثاً : المصادر العربية المطبوعة :

ابن الآبار : (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعى ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) .

- التكملة لكتاب الصلة، نشر وتحقيق السيد عزت العطار، القاهرة ١٩٥٦.

- المعجم فى أصحاب القاض الإمام أبى على الصدفى، نشر نرستشكو كودار، بجريط ١٨٨٥.

ابن الاثير : (عز الدين أبى الحسن بن أبى الكرم توفى ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .
- الكامل فى تاريخ بيروت ١٩٦٦.
الأدريسى : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أدريس ت ٥٥٨هـ / ١١٦٢م).
- نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بدون تاريخ.
ابن بشكوال : (أبو القاسم خلف بن مالك توفى ٥٧٨هـ / ١١٨٢م).
- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، القاهرة ١٩٥٥.
البكرى : (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م).
- المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب، الجزائر ١٨٥٧م.
البيذق : (أبو بكر على الصنهاحى كان حيا فى القرن ٦هـ / ١٢ م).
- كتاب اخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، نشر ليفىبروفنسال، باريس ١٩٢٨.
التادلى : (أبو يعقوب يوسف بن يحيى كان موجودا فى الربع الأول من القرن ٧هـ/١٣م)
- التشوف إلى رجال التصوف واخبار أبى العباس السبتى، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط ١٩٨٤.
التنبكى : (أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن أفيت ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م).
- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الأولى، طرابلس ١٩٨٩.

ابن تومرت : (المهدى محمد ت ٥٢٤هـ / ١١٢٩م).

- كتاب اعز ما يطلب، نشر جولد تسهير، الجزائر ١٩٠٣م.

ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد الأندلسى توفى ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) .

- جمهرة أنساب العرب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣.

الحميرى : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت ٨٦٦هـ / ١٤٦٣م) .

- الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٠.

ابن الخطيب : (لسان الدين بن محمد ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) .

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، الجزء الثالث، نشر د. أحمد مختار العبادى، ومحمد إبراهيم الكتانى تحت عنوان تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط، الدار البيضاء ١٩٦٤م.

ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد توفى ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .

- المقدمة ، بيروت ١٩٨٦م.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٨٣م.

ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين بن أحمد توفى ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) .

- وفيات الأعيان ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨.

الذهبى : (محمد بن أحمد بن عباس توفى ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م) .

- العبر فى خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين الكويت، الكويت ١٩٦٣.

ابن أبى زرع : (أبو الحسن بن عبد الله الفاسى توفى ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) .

- الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تعليق محمد الهاشمى الفيلالى، الرباط ١٩٣٦.

- الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية، الرباط ١٩٧٢.

الزركشى : (أبو عبد الله محمد إبراهيم توفى بعد ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م) .

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور، تونس ١٩٦٦.

ابن سعيد : (أبو الحسن على بن موسى توفى ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) .

- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٠م.

السلاوى : (أحمد بن خالد الناصرى) .

- الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصرى، الدار البيضاء ١٩٥٤.

السهروردى : (أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله توفى ٦٣٢هـ / ١٢٣٦م) .

- عوارف المعارف، القاهرة ١٩٧٣.

السيوطى : (الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن توفى ٩١١هـ / ١٥٠٥م) .

- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى القاهرة، ١٩٦٤. ١٩٦٥.

ابن صاحب الصلاة : (عبد الملك محمد بن أحمد بن محمد توفى ٥٩٤هـ / ١١٩٨م) .

- المن بالإمامة على المستضعفين، نشر عبد الهادى التازى، الطبعة الأولى ، بيروت، ١٩٦٤.

الصفدى : (صلاح الدين خليل بن أيبك ٧٦٤هـ / ١٣٣٢م) .

- الوافى بالوفيات ، الجزء الثامن ، نشر محمد يوسف نجم، فيسبادن ١٩٧١.

أبو طالب المكى : (محمد بن على بن عطية الحارثى توفى ٣٨٦هـ / ٩٩٦م) .

- قوت القلوب ، تحقيق عبد المنعم الحفنى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١م.

الضبى : (أحمد بن يحيى بن أحمد توفى ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م) .

- بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس، بجريط ١٨٨٤.

العباس بن إبراهيم : (كان حيا فى القرن ١٣هـ / ١٩م) .

- الأعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام، الرباط ١٩٧٣.

ابن عربى : (محى الدين).

- الفتوحات المكية الهيئة المصرية العامة للكتاب،جـ٢ القاهرة١٩٧٢، جـ٣ القاهرة ١٩٧٤، جـ ، القاهرة١٩٧٥، جـ ١١ القاهرة ١٩٨٧، جـ ١٣ القاهرة ١٩٩٠.

ابن العريف : (أبو العباس أحمد بن محمد بن عطاء الله الصنهاجى توفى ٥٣٦هـ / ١١٤١م) .

- محاسن المجالس، نشر اسين بلا سيوس، باريس ١٩٣٣.

ابن عذارى : (محمد بن عذارى المراكش ت نهاية القرن ٧هـ/ ١٣م) .

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس المغرب ، الجزء الرابع قطعة من تاريخ المرابطين تحقيق د. احسان عباس بيروت ١٩٦٧.

- قسم خاص بالموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى وأخرون، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٠.

العماد الحنبلى : (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد توفى ١٠٨٩هـ / ١٧٠١م) .

- شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، بيروت ١٩٦٦.

الغبرينى : (أحمد بن أحمد بن عبد الله توفى ٧١٤هـ/١٣٢٦م) .

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، تحقيق عادل نوهيض، بيروت بدون تاريخ.

الغزالى : (أبو حامد محمد بن محمد توفى ٥٠٥هـ / ١١١٠م) .
- احياء علوم الدين ، القاهرة بدون تاريخ.
ابن فرحون : (برهان الدين إبراهيم بن على المالكى ت ٧٩٩هـ / ١٤١١م) .
- الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، الطبعة الأولى، القاهرة١٩٣٢.
ابن القاضى : (أحمد بن محمد بن أبى العباس توفى ١٠٢٥هـ / ١٦٣٧م) .
- جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط ١٩٧٣.
القشيرى : (ابن القاسم عبد الكريم بن هوزان توفى ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م) .
- الرسالة القشيرية فى علم التصوف ، بيروت ١٩٥٧.
ابن القطان : (أبو الحسن على بن محمد الكتامى الفاسى توفى ٦٢٨هـ / ١٢٧٠م) .
- نظم الحمان، تحقيق د. محمود على مكى ، الرباط بدون تاريخ.
ابن قنفذ القسنطينى : (أبو العباس أحمد بن حسن بن على توفى ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) .
- انس الفقير وعز الحقير، نشر وتحقيق محمد الفاسى وادولف فور، الرباط ١٩٦٥.
الكاشانى : (عبد الرازق ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) .
- اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد الخالق محمود ، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٤.
الكلاباذى : (أبو بكر محمد توفى ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) .
- التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق محمود امين التواوى الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٩٢.

الكتانى : (محمد بن جعفر بن ادريس) .

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس، فاس ١٨٩٩م.

مارمول كرفجال : (ألف كتابه فى النصف الثانى من القرن ١٠هـ / ١٦م) .

- كتاب افريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجى وأخرون ، الرباط ١٩٨٨، ١٩٨٩.

مجهول : (مؤلف أندلسى من أهل القرن ٨هـ / ١٤م) .

- الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، حققه د. سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء ١٩٧٩.

مجهول : (توفى فى القرن ٨هـ /١٤م) .

- نبذة تاريخية من اخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤.

مجهول :

- ذكر مشاهير أعيان فاس فى القديم، نشر عبد القادر زمامة، بمجلة البحث العلمى العدد الثالث، السنة الأولى الرباط ١٩٦٤، والعددان الخامس والسادس، السنة الثانية ، الرباط ١٩٦٥.

المحاسبى : (أبو عبد الله الحارث بن اسد البصرى ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م) .

- الرعاية لحقوق الله والقيام بها، راجعه وقدم له عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقى سرور، القاهرة بدون تاريخ.

المراكشي : (عبد الواحد بن على ت ٦٦٩هـ / ١٢٧١م) .

- المعجب فى تلخيص اخبار المغرب، حققه وعلق حواشيه، محمد سعيد العريان، ومحمد العربى العلمى ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٩.

أبو مدين : (شعيب بن حسين الأنصارى ت ٥٩٤هـ / ١١٩٧م) .

- أنس الوحيد ونزهة المريد شرح العلامة أحمد بن عبد القادر، القاهرة ١٢٩٧هـ .

ابن مريم : (أبى عبد الله محمد بن محمد بن أحمد) .

- البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه محمد بن أبى شنب الجزائرى ١٩٠٨.

المقرى : (أحمد بن محمد التلمسانى ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) .

- نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨.

ابن المؤقت :

- السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، فاس ١٩١٨.

النويرى: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).

- نهاية الأرب فى فنون الأدب ، حـ٢٤، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة ١٩٨٣.

الونشريسى : ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م .

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، نشر وتحقيق محمد حجى وأخرون، بيروت ١٩٨١م.

رابعاً : المراجع العربية والمعربة :

أحمد شلبى (دكتور) :

- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، حـ٤، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٧٩.

أحمد عبد المنعم عبد السلا :

- السمو الروحى فى الأدب الصوفى ، القاهرة ١٩٤٩.

جميل محمد أبو العلا (دكتور) :

- التصوف الإسلامى نشأته وأطواره، القاهرة ١٩٨٣.

جورج قنوانى :

- التصوف، مقال فى كتاب تراث الإسلام، سلسلة عالم المعرفة العدد ١١، القسم الثانى، الكويت ١٩٧٨.

جورج مارسيه :

- بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، الأسكندرية ١٩٩١.

جولد تسهير :

- العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى واخرون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٩.

حسن أحمد محمود (دكتور) :

- قيام دولة المرابطين، القاهرة ١٩٥٧.

حسين سيد عبد الله مراد (دكتور) :

- قبائل المصامدة منذ الفتح الإسلامى حتى قيام دولة الموحدين بالمغرب، رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٩١م.

زكى مبارك (دكتور) :

- التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٨.

الطبلاوى محمود (دكتور) :

- التصوف فى تراث ابن تيمية، القاهرة ١٩٨٤.

عبد الحليم محمود :

- ابو مدين الغوث، القاهرة بدون تاريخ.

(عبد الحميد عبد المنعم (مدكور) :

- أبو طالب المكى ومنهجة الصوفى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم القاهرة، ١٩٧٢.

عبد القادر محمود (دكتور) :

- الفلسفة الصوفية فى الإسلام، القاهرة ١٩٦٦.

عبد اللطيف محمد العبد (دكتور) :

- التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه، القاهرة ١٩٨٦.

عمر فروخ :

- التصوف فى الإسلام ، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٤٧.

فؤاد سزكين :

- تاريخ التراث العربى، ترجمة محمود فهمى حجازى، المجلد الأول الجزء الرابع، العقائد والتصوف، السعودية ١٩٨٣.

(ماسينيون لوزس) :

- الإسلام والتصوف، اعداد إبراهيم زكى خورشيد وأخرون، القاهرة ١٩٧٩م.

محمد بركات البيلى (دكتور) :

- الزهاد والمتصوفة فى بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجرى، القاهرة ١٩٩٣.

محمد جلال شرف :

- خصائص الحياة الروحية فى مدرسة بغداد، الأسكندرية ١٩٧٧.

محمد الصادق عرجون :

- التصوف فى الإسلام منابعه وأطواره، القاهرة ١٩٦٧.

(محمد بن محمد مخلوف) :

- شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ، بيروت ١٩٣٠.

(محى الدين عبد الحميد طاهر) :

- أبو مدين المغربى وحياته وتصوفه، رسالة دكتوراة غير منشورة قسم الفلسفة كلية الأداب جامعة القاهرة ١٩٨٥.

أبو الوفا الغنيمى التفتازانى (دكتور) :

- مدخل إلى التصوف الإسلامى، القاهرة ١٩٨٣.

خامساً المراجع الأجنبية :

Bel, A :

- La Religion Mu.lum ne en Berberie TomeI,Paris 1938.
- Sidi Bau Medyon et So. Maitre Ed daqqag a Fes, dans Melanges R. Basset, Tame I, Paris 1923.

Massignon ;

- Art Almuhsibi, in Encyclopldia of lslam.

Macdonald;

- Art Al Ghazli, in Ency of lslam.

Nichelson, R;

- The idea of Personabty in sufism, cambridge 1923.
- Art sufis in Encyclopdia of Religion and Ethics.

Oliver, R;

- Almorvids and Almohads, in the Cambridge history of Africe, Cambridge 1979.

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن الجغرافية
- فهرس الطوائف والجماعات
- فهرس الموضوعات



فهرس الأعلام

فهرس الأماكن الجغرافية

فهرس الطوائف والجماعات

فهرس المحتويات

الصفحة


تم بحمد الله

رقم الإيداع ٩٤/١١٥٢٨
I.S.B.N. 977-00-8178-7

المطبعـــة الإسلاميـــة الحديثـــة
٤٢ (أ) ش دار السعادة حلمية الزيتون
القاهرة – ت ٢٤٠٨٥٥٨

